أضداد ابن الأنبا ري

دراسة تحليلية في المصطلح والمنهج

إعداد

دكتور/ هاشم محمد سويفي محمد

قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة القاهرة

مجلة كلية دار العلوم العدد الثاني عشر ديسمبر ٢٠٠٤

أضداد ابن الأنباري

دراسة تحليلية في المصطلح و المنهج

دكتور هاشم محمد سويفي محمد

قسم اللغــة العربية بكلية الآداب - جامعة القاهرة

أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة بن الأنباري النحوي (٢٧١هـ _ ٣٢٨هـ) . عُدَّمن أعلام الطبقة السادسة من النحويين الكوفيين أصحاب ثعلب [١]. تحدث عنه الأزهري في مقدمة كتابه التهذيب فقال : " كان واحد عصره ، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه وإعرابه ومعرفة اختلاف أهل العلم في مشكله، وله مؤلفات حسان في علم القرآن ، وكان صائناً لنفسه ، مقدَّماً في صناعته ، معروفاً بالصدق ، حافظاً حسن البيان ، غزير الألفاظ لم يُذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها من يخلفه أو يسدّ مسدّه " [٢] وقال عنه أبو علي القالي : " إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها ". [٣] كان أبوه القاسم بن محمد الأنباري من علماء الحديث واللغة، وهو أول أساتذة ابنه ابي بكر ، فنشأ الابن واسع الدراية متقناً لعلوم القرآن والحديث والرواية ، عالماً بنحو الكوفيين وأكبرهم حفظاً للغة في زمانه زاهداً متواضعاً . انتدبه الخليفة الراضي لتأديب الأمير عبد الواحد بن المقتدر . أخذ عن ثعلب بعد أخذه عن أبيه ، وعن أبي جعفر أحمد بن عبيد وجماعة ، كان يكتب عنه وأبوه حيّ . وكان أكثر ما يمليه من غير دفتر ولا كتاب . وحُدِّث أنه كان يحفظ أيضاً عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها ، يرويها عن أبيه ويرويها عنه أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني من مشايخ الصدوق رواية الحديث الشيعي المعروف .

أخذ عنه أبو عمر بن حيوية وأبو الحسن الدار قطني وأبو الفضل بن المأمون وأحمد بن محمد بن الجراح ومحمد بن عبد الله بن أخي ميمي وغيرهم . أملى كتابه (غريب الحديث) في خمس وأربعين ألف ورقة ، وله (شرح الكافي)

في ألف ورقة ، ويقول الصفدي : " وكتاب الأضداد ما رأيت أكبر منه في بابه ، وله غـير هذه مصنفات كثيرة منها : الهاءات ، المشكل ، والمذكر والمؤنث ، الزاهر ، المقصور ، والممدود ، اللامات ، الكافي في النحو ، الهجاء ، وغير ذلك (٤)

أمـا كـتابه (الأضـداد) فهو أكبر وأوسع كتب الأضداد إذ وصل عدد الأضـداد فيه إلى سبعة وخمسين وثلاثمائة ضداً ، يكاد يكون هذا العدد ضعف عدد الأضداد عند أبي حاتم السجستاني ، وضعفه عند الأصمعي ، وثلاثة أضعافه عند ابن السـكيت ، و في هذا تتجلى سعة الحفظ والرواية ، فلقد أتى على جميع ما أُلف قبله وأربـى عليه ، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب وشواهد الشعر والحديث والقرآن الكـريم ، في كثرة بالغة ، وإسهاب كثير ، مع عذوبة المورد ، ووضوح التعبير ، وإشـراق الدلالة ، واطراد التنسيق ، وسهولة الأسلوب ، وأعانه على كل ذلك كثرة محفوظه ، ووفرة روايته ، ووضوح الفكرة في عقله ، مع دقة التعليل وقوة الحجاج، كما استطرد لشرح الشواهد شرحاً أبان فيه المعنى الدقيق ، وكشف النقاب عن اللفظ الغريب .

بسبب كل ما تقدَّم عن ابن الأنباري ونظراً للأهمية البالغة التي حازها هذا العالم الجليل في مجال الدرس اللغوي بصفة عامة وفي مجال دراسة الأضداد بصفة خاصـة ، ولأنه لم يحظ بدراسة تبرز جهوده في مجال الأضداد ، وإنما تم التعرض له ولآرائه في ثنايا الحديث عن قضية الأضداد بصفة عامة ، ونظراً لما شغله كتابه (الأضداد) من مكانة خطيرة في مجال البحث في الأضداد ، لذلك رأى الباحث أن يفـرد ابـن الأنباري وكتابه (الأضداد) بدراسة تتناول بالدرس والتحليل مصطلح الأضـداد ومفهومـه عنده ومنهجه في تناول قضايا هذا الباب من البحث اللغوي ، بهدف إبراز مكانته وملامح منهجه في دراسة هذه القضية التي شغلت الباحثين قديماً وحديثاً .

وبحثـنا على أربعة محاور يضم كل منها قضايا فرعية عدّة . وأول هذه المحـاور يتـناول الاهـتمام بقضية الأضداد عند السابقين على بن الأنباري ، بغية الوقوف على جهود السابقين عليه وطبيعة المادة التي تعامل معها ابن الأنباري فنهل

منها وأضاف إليها ، ويضم هذا المحور قضيتين فرعيتين ، تتعرض إحداها لحركة التأليف المعجمي ودورها في الاهتمام بقضية الأضداد ، باعتبار أن كتب الأضداد تدخل في مجال التأليف المعجمي . أما القضية الثانية فتتناول بالدراسة كتب الأضداد قبل ابن الأنباري ، لنرصد طبيعة وحجم مادة الأضداد قبله ، ومدى وكيفية استفادته منها .

أما المحور الثاني للدراسة يبرز دواعي تأليف ابن الأنباري في الأضداد ، ويبين الأسباب التي دفعته للتصدّي لهذا الباب من اللغة ويُفرد لها مصنفاً بهذه السعة والغزارة .

أما المحور الثالث فيتعرض بالدراسة لقضيتين ، الأولى توضح مفهوم ابن الأنباري لمصطلح الأضداد ، والثانية تتتبع رؤية ابن الأنباري لدواعي نشأة الأضداد في اللغة

أما المحور الأخير من الدراسة فيتناول بالدراسة والتحليل منهج ابن الأنباري في تصنيف كتابه ، ويقوم على ثلاثة مباحث يتناول المبحث الأول مصادره في دراسة قضية الأضداد ، ويتعرض الثاني لمنهجه في عرض هذه القضية في مصنفه ، أما الثالث فيرصد أهم القضايا التي تناولها من خلال عرضه للأضداد .

أولاً : الاهتمام بقضية الأضداد عند السابقين على ابن الأنباري :

(أ) التأليف المعجمي ودوره في الاهتمام بالأضداد :

إذا رأينا أن وضع كتب الأضداد يدخل في مجال التأليف المعجمي ، فإن اقترانه تاريخياً بولادة هذا النوع من الكتابة . ولُقد ولدت معجماتنا اللغوية صغيرة متفرقة غير منظمة ، ثم نمت شيئاً فشيئاً وتوسعت وتكاملت جيلاً بعد جيل (٥).

قامت حركة التأليف في المعاجم العربية على أساس المادة التي جمعها اللغويون في البادية في القرن الثاني الهجري ، فقد خرج عدد كبير من اللغويين إلى البادية ، وأخذ كل منهم يجمع اللغة من أبناء القبائل العربية ، وبذلك تم إنجاز أول عمل لغوي ميداني في الجزيرة العربية ، ولاحظ كثير من البدو اهتمام اللغويين بتلقي اللغة عنهم ، فهاجروا إلى جنوب العراق حيث ازدهرت علوم اللغة في البصرة

والكوفة . وأخذوا يبيعون المادة اللغوية التي عندهم لكل من ينشدها من اللغويين ولم تكن عملية جمع اللغة محاولة شاملة لتسجيل كل الألفاظ التي عرفتها القبائل العربية ، بل كان اللغويون يصدرون في اختيارهم للقبائل واختيارهم للرواة عن مبدأ أساسي ، وهو تسجيل اللغة الفصحى والابتعاد عن الصيغ والألفاظ غير الفصحى . وبهذا المعيار ركز اللغويون عملهم على لغة تلك القبائل التي تقترب كل الاقتراب من العربية الفصحى . ورفضوا لهجات القبائل البعيدة عن الفصحى . وبين هذا وذلك صُنِّفت لهجات القبائل المختلفة . وظل هذا الأساس سائداً في عملية جمع اللغة في القرن الثاني الهجري ، وبذلك حفظت لنا كتب اللغة الاستخدام اللغوي عند مجموعة القبائل العربية الشاملة.

لقد اهتم اللغويون بقبائل قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض بطون قبيلة كنانة وبعض بطون طيء [٦]وقد تجنب اللغويون أخذ اللغة عن الحضر أي عن العرب "مستقرين وعن القبائل العربية التي عاشت بالقرب من جماعات لغوية غير عربية ، فلم يؤخذ من قبيلة لخم ولا من قبيلة جذام ، "لمجاورتهم أهل مصر والقبط" ، وبالمثل تجنب اللغويون أخذ اللغة عن قضاعة وغسان وإياد ، "لمجاورتهم أهل الشام"[٧] . وأعرض جامعو اللغة عن قبائل تغلب لاختلاط هذه القبائل بالجماعات اللغوية غير العربية في الشام والعراق ومصر . أما قبائل العرب في اليمن وشرق الجزيرة العربية ومدن الحجاز فقد خرجت أيضاً عن اهتمام اللغويين ، وقد فسروا عدم أخذ اللغة عن أهل اليمن أن لغتهم تغيرت " لمخالطتهم للهند والحبشة ، ورفضوا أخذ اللغة عن قبائل شرق الجزيرة العربية ومدن الحجاز باعتبار أن لغتهم اختلطت بلغة غير العرب .

والوقع أن اللغويين لم يهتما في القرن الثاني الهجري بالتنويع اللغوي في الجزيرة العربية ، وقصروا اهتمامهم على تقرير فصاحة لغة القبيلة أو عدم فصاحتها، فشغلتهم قضية الفصاحة عن باقي القضايا الكثيرة التي يمكن طرحها في العمل اللغوي الميداني . فسر اللغويون التغير الذي لاحظوه في لهجات بعض القبائل التي رفضوها بأنه ثمرة الاختلاط بأبناء الجماعة اللغوية غير العربية في مصر

والشام والعراق وبأبناء الجماعات اللغوية الهندية والحبشية الذين اختلط بهم نفر من العرب . ولكن جامعي اللغة في القرن الثاني الهجري لم يهتموا بالعربية الجنوبية التي كانت دون شك منتشرة في مناطق من الجنوب العربي آنذاك بل عدوا ما وجدوه عند قبائل اليمن من ظواهر لغوية مخالفة ضرباً من الاختلاط الذي أصاب اللغة وجعلها غير نقية وغير سليمة . وبذلك لم يكن العمل اللغوي الميداني في القرن الثاني الهجري محاولة لتسجيل جوانب الحياة اللغوية عند أبناء اللغة العربية أو محاولة لبحث جوانب التنويع اللغوي في الجزيرة العربية بل كان محاولة للبحث عن الصيغ الفصيحة والكلمات الفصيحة عند القبائل العربية التي يقترب استخدامها للغة من المستوى اللغوي المنشود .

ولقد أثمرت حركة جمع اللغة مجموعة من الكتب والرسائل اللغوية . لقد جمع اللغويون ما عرفته القبائل الفصيحة من ألفاظ . وصنفوها في مجموعات دلالية. وألفوا في هذا مجموعة كبيرة من الكتب . ألف الأصمعي (ت٢١٦ هـ) في " خَلْق الإنسان " و " الإبل " و " الخيل " و "الوحش" و " النبات " و " الشجر " ، وألف أبو زيد الأنصاري في " اللبن " و " المطر " و " النبات " و "الشجر " . وظلت الرسائل هي الشكل الوحيد الذي اتخذته دراسة الألفاظ العربية من الناحية الدلالية وقتاً طويلاً إلى أن برزت إلى الدوائر العلمية حركة تأليف المعاجم . وقد كان لما ألفه الأصمعي وأبو زيد الأنصاري ومن عاصرهما من اللغويين أكبر الأثر في المعاجم العربية وفي نظرية اللغة عند العرب بشكل عام .

لقد أخذ مؤلفو المعاجم المادة التي دونها علماء القرن الثاني واختلفوا بكل ما سجله الأصمعي وأبو زيد ومعاصروهما كل الاحتفال . ولذا تتكرر أسماء هؤلاء اللغويين في المعاجم العربية الكثيرة التي ظهرت في القرن الثاني قد قصروا جهدهم على جمع الصيغ والدلالات الفصيحة أو القريبة كل القرب من الفصيحة فإن الأكثرية المطلقة من علماء اللغة في القرون التالية قد لاحظت تغير الاستخدام اللغوي بعد القرن الثاني . ولذا توقفت حركة العمل اللغوي الميداني توقفاً تاماً . لم يكن العمل اللغوي الميداني في القرن الثاني الهجري هادفاً إلى دراسة التنوع اللغوي والتغير

اللغـوي في الجزيرة العربية أو في البيئات العربية الأخرى ، بل اقتصروا على ما اتفقـوا على القول بفصاحته .وظل اللغويون في القرون التالية يقصرون عملهم على المـادة اللغوية التي اعترف علماء القرن الثاني الهجري بفصاحتها . وبذلك حددت حـركة جمع اللغة في القرن الثاني الهجري إطار النظرية العامة للعمل اللغوي في القرون التالية . وظلت التعبيرات الشائعة في كتب اللغة مثل لغة الحجاز أو لغة أهل الحجاز أو لغة تميم أو لغة هذيل لا تعني الاستخدام اللغوي عند هذه القبائل عموماً . بـل تعنـي الاستخدام اللغوي عند هذه القبائل في القرن الثاني الهجري . وبذلك لا تخـتلف الظواهر التي عالجها السيرافي في القرن الرابع الهجري عن الظواهر التي ناقشـها السيوطي في القرن التاسع الهجري فهما يناقشان مثل باقي النحاة العرب ما سـجله الباحثون في القرن الثاني الهجري . وعندما يذكر ابن منظور (ت٧١١هـ) والزبـيدي (١٢٠٥هـ) في لسان العرب وتاج العروس مجموعة من الملاحظات حـول دلالات الألفاظ ، فإنهما لم يسجلا هذه الملاحظات عن الاستخدام اللغوي في القـرن السابع أو القرن الثاني عشر للهجرة ، بل نقلاها عن كتب تعود بدورها إلى كتب قام أكثرها على أساس ما جمعه اللغويون في القرن الثاني الهجري . وبذلك تعد حـركة جمع اللغة في القرن الثاني الهجري أساس المادة اللغوية ونظرية اللغة عند أصحاب المعاجم العربية التالية

يعد نشاط العلماء العرب في عصر الحضارة الإسلامية لتأليف المعاجم من أبـرز مظاهـر جهدهم العلمي . وهم بهذا أهم من ألف المعاجم قبل العصر الحديث علـى الإطـلاق . لقـد بدأت حركة تأليف المعاجم العربية موازية لتدوين الرسائل اللغوية في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة.

وفي هذه الفترة أيضاً أُلِّف كتاب سيبويه . وبذلك عرف النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة جمع اللغة وتدوين الرسائل اللغوية وبداية العمل المعجمي وبداية التأليف النحوي . وإذا كان القرن الرابع الهجري قد عرف مجموعة كبيرة من أعلام النحاة فإن نفس الفترة الزمنية أخرجت لنا عدداً كبيراً من المعاجم اللغوية التي تمثل اتجاهـات مخـتلفة في التأليف المعجمي . وكانت حركة تأليف الموسوعات النحوية

موازيـــة لتأليـــف المعـــاجم الموسوعية مثل لسان العرب ، كما كانت حركة تأليف الحواشـــي والشـــروح النحوية مصحوبة بتأليف حواشي على المعاجم وشروح لها ، وكـــان عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـــ) بكتابيه " خزانة الأدب " و "شرح شواهد مغني اللبيب " ظاهرة موازية لتأليف مرتضى الزبيدي (١١٤٥هـــ) لتاج العروس شـــرحاً للقـــاموس المحيط . وإذا كانت كتب النحو تختلف اختلافاً بسيطاً في تبويبها الداخلـــي وترتيبها للموضوعات فإن المعاجم العربية تقسم من ناحية ترتيبها للألفاظ الواردة فيها إلى مدارس مختلفة . لكل منها منهجها الخاص[٨].

أمـــا روايـــة الأضداد فإنها بدأت في وقت مبكر نسبياً ، إلا أنه بعد الإسلام بأكثر من قرن على كل حال . ولا نستطيع أن نقطع بشيء من تحديد أول من روى ألفاظـــاً من الأضداد ، إلا أنه يمكن تحديدها بعصر أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو الشيباني والكسائي ومن في طبقاتهم ممَّن لم يؤلف في الأضداد ، لأن أوائل كتب اللغة قد روت عن هؤلاء شيئاً من هذه المادة ، وليس في أيدينا كذلك ما يدل على أن هؤلاء الأوائل قد نصوا على أن اللفظـــة التـــي يذكـــرون معانيها هي من الأضداد ، ولكننا نطمئن إلى أن أولى مصـــنفاتهم التـــي أشـــارت إلى هذه الظاهرة إشارة صريحة فيها شيء من التعجب والدهشـــة هو كتاب العين للخليل أحمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـــ) إذ قال في مادة (شـــعب) بعد أن ذكر المعنيين المتضادين : " هذا من عجائب الكلام ووسع العربية أن يكون الشعب تفرقاً ويكون اجتماعاً ، وقد نطق به الشعر " [٩] ، كما تعجب أيضاً من تضاد لفظة (الناشد) وقال : وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد : الطالب والمعرف جميعاً " [١٠] . ومع ذلك فإن الخليل لم ينص على أن (الشعب) أو (الناشد) من الأضداد ، فقد اكتفى بذكر المعنيين المتضادين وتسجيل دهشته من هذا التضاد ، ولم يحاول تبرير ذلك فقد نطق به الشعر على حد قوله . أما ما عدا الخليل من رواة اللغـــة ممـــن عاصـــروه . وتتلمذ له فيعوز النصوص التي نقلت عنهم في الأضداد الوضـــوح والصـــراحة ، فقد اختلط النقل عن أبي عمرو بن العلاء بالنقل عن أبي عمرو الشيباني ، لذكر الكنية عارية عن اللقب في أكثر النصوص الموجودة في كتب

الأضـــداد فلم يُعلّم لمن منهما الكلام ، والقليل من هذه النصوص ما كان يذكر اللقب المميـــز لكـــل منهما ، ولكن الراجح أن أكثرها منسوب للشيباني لأن مقارنة النص الواحد بين صوره في المصادر يهدي إلى ذلك أحياناً . وكذلك يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـــ) فلم يُرو عنه أكثر من ثلاثة أو أربعة أضداد عند قطرب وأبي الطيب اللغوي منقولة عنهما في كتب الأضداد الأخرى ، ونصوصها غير واضحة في تحديد كلام يونس لاتصاله بكلام قطرب وأبي الطيب ، مثل قول قطرب : " قال يونس : الرَّغوث : التي يرغثها ولدها من الشاء ، فصارت في معنى مرغوثة ، والولد أيضاً رَغُـوث ، والمعـــنى أنه راغث لها ، فصارت رَغُوث للمفعول والفاعل " (١) . فلا يُعلـــم هل انتهى كلام قطرب أم استمر إلى آخر النص ، فالنقل غير واضح في هذه المسألة . وهكذا الأمر بالنسبة لسائر رجال هذه الطبقة ممن لم يؤلف في الأضداد أو لم يعاصر التأليف فيها ، فما رُوي عن لغويٍّ هذا الجيل من الأضداد يعتبر ضئيلاً لو قُـورن بما أصح عليه الوضع بعد ذلك ، فهي كلمات قليلة ترد عارضة على الأستاذ فـــي حلقة الدرس فيتنبه إليها ويحاول تفسيرها ، فتعلق في ذهن أحد التلاميذ ويفطن إلـــى ما فيها من تضاد ويجتمع عنده من هذه الألفاظ عدد يدفعه إلى تدوينه في كتاب مع شيء من الشرح والاستشهاد ، فظهرت كتب الأضداد الأولى صغيرة الحجم قليلة المـــادة ، بسبب تمحض النية لتدوين هذه الألفاظ ، دون محاولة التكثر منها بالتعسف والتكلف والاصطناع ، وإن لم تخل خلواً تاماً من هذه الدوافع ، ولكنها أقل بكثير مما نجده في المؤلفات اللاحقة .

(ب) كتب الأضداد قبل ابن الأنباري :

إن مؤلفات الأضداد تندرج تحت نوع من المصنفات اللغوية يُعنى بدراسة الظواهر اللغوية وجمع مفرداتها وشرح معانيها في جملة ما عُني به . والأضداد من الظواهـــر التي حظيت بدراسات وكتب كثيرة فيما لو قورنت بسواها من الظواهر كـــالإبدال والقلـــب والنحـــت والاشتقاق وما إلى ذلك . ولقد عُثِرَ في كتب التراجم والمظـــان القديمـــة والفهـــارس على ذكر لواحد وثلاثين كتاباً في الأضداد لم يصل أكثرها والظاهر أنه مفقود فيما فُقِد من تراثنا الضخم خلال العصور . ولم يرَ النور

منها سوى ثمانية من الكتب القديمة [١٢] ، (عدا أربعة أو خمسة من الكتب الحديثة أو المتأخرة المحفوظة في مخازن المخطوطات بعضها مجهول المؤلف .

وسيذكر الباحث فيما يلي كتب الأضداد التي تم تأليفها قبل تصنيف ابن الأنباري لكتابه (الأضداد) باعتبار أن هذه التصانيف كانت مادة ثرية متاحة بين يدي ابن الأنباري ينهل منها عند تصنيفه لكتابه ، وبذلك نستطيع أن نقف على مدى استفادة ابن الأنباري من سابقيه من ناحية ، ومن ناحية أخرى نستطيع أن نرصد ماذا أضاف إلى دراسات سابقيه سواء من حيث حجم المادة التي وردت في كتابيه ، فضلاً عن منهجه في معالجة هذه القضية لنتبين ما إذا كان مقلداً لسابقيه أم متفرداً عنهم مضيفاً إلى جهودهم .

وسوف نذكر هذه التصانيف مرتبة حسب تاريخ وفاة مؤلفيها :

* وأول هذه التصانيف هو كتاب(الأضداد) لأبي علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) [١٣] من علماء اللغة والنحو . وهو أول من وضع المثلث في اللغة ، وكتابه على صغره له فضيلة السبق على حد قول ابن خلكان ، وهو أول من ألَّف في الأضداد على ما يظهر ، وله غير هذين الكتابين ــ المثلثات والأضداد ــ كتب كثيرة منها : النوادر ، الصفات ، الأصوات ، الهمز ، خلق الإنسان ، خلق الفرس ، إعراب القرآن ،مجاز القرآن، وغير هذا مما حفلت بذكره المصادر والفهارس القديمة . ولقد اشتمل كتاب (الأضداد) على ثماني عشرة ومائتين من ألفاظ الأضداد ، تكررت منها خمسة ألفاظ هي : (زَعوم ، أضبَّ ، بَطائن ، نَفَرْ ، جَوْن) . فيكون العدد الحقيقي هو ثلاثة عشر ومائتين ، انفرد قطرب بثمانية ألفاظ في الأضداد بعده في ضوء ما بين أيدينا من الكتب التي وصلت ، هي : (اللَّموس [١٤] خلوج [١٥] ، قرون [١٦]، راضية[١٧] ثَمَمْت [١٨] ، خِطْب [١٩] لَتَتْهُ [٢٠] يُقاوت [٢١] . الثلاثة الأولى من صيغة(فَعول) ، والرابعة من صيغة (فاعل) . وكتاب قطرب في الأضداد فتح الطريق أمام الذين ألفوا في الأضداد فكثيراً ما نقلوا عنه وأشاروا إليه وأخذوا مفرداته يضيفون إليها ويحذفون منها مشاركين تارة ومخالفين أخرى .

* ومن هذه التصانيف كذلك ، كتاب (الأضداد) لأبي ذكريا بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الباهلي الفراء (ت ٢٠٧ هـ) [٢٢] سُمِع منه النحو واللغة فكان إمام الكوفيين بهما في زمانه ن له مصنفات كثيرة غير المعاني والحدود والأضداد ، منها كتاب اللغات ، الجمع والتثنية في القرآن ، الوقف والابتداء ، فعل وأفعل ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ، وغيرها كثير أما كتابه (الأضداد) فلا تملك ذكراً له في المصادر والفهارس القديمة ، إلا اشارة ابن الدهان في أضداده، وهي مع ذلك ليست إشارة قوية ، لأنها غير صحيحة تماماً في تسمية الكتاب أو الأخذ عنه ، إلا أن الذي سوّغ لنا الأخذ بإشارة ابن الدهان على أنها ذكر لكتاب الأضداد للفراء ، أنه لم يذكر مع الفراء إلا من كان له كتاب في الأضداد ، حيث يقول : " وأحلت شواهد ما ذكرته على كتب الكبار من العلماء كالأصمعي والفرء وأبي على قطرب وابن السكيت وأبي العباس ثعلب وأبي حاتم السجستاني وأبي بكر ابن الأنباري ، فمن شك فيما ذكرته فليقصد هذه الكتب فإنه يجده فيها ، والعهدة له وعليه " [٢٣]، فكلهم ألف في الأضداد ووصلت كتبهم سوى كتاب ثعلب الذي نملك ذكراً قوياً له في فهرسة ابن خير فلا بد أن يكون ــ قياساً على هذا ــ للفراء كتاب في الأضداد كان موجوداً حتى زمان ابن الدهان (ت ٥٦٩هـ) .إلا أن تساؤلنا عن سبب إغفال الكتب التي ترجمت للفراء وعنيت بمؤلفاته ذكر ككتاب الأضداد يحتاج إلى توضيح . بما في ذلك الترجمات المتأخرة للفراء. والظاهر أنه كتاب صغير ولصغره ظل متداولاً في أوساط ثقافية ضيقة جنباً إلى جنب مع الكتب المعاصرة في الأضداد حتى إذا ظهرت كتب ابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي وغيرهما من المصنفات الضخمة في هذا الباب ، تلقفتها الأيدي وأكبت عليها بيوت العلم فقل شأن الكتاب الصغير حتى ضاع فلم نسمع به إلا على لسان ابن الدهان بهذا الشكل الضعيف ، شأنه في ذلك شأن كثير من المصنفات التي ذابت في خضم المصنفات الكبيرة المؤلفة في بابها فضاعت ولم نسمع بخبرها . وبهذا نستطيع أن نفسر إغفال (الفهرست) لأبن النديم (ت ٣٧٧) وهو أقدم من ذكر مصنفات المترجمين باستيعاب ــ لأضداد الفراء ، ذلك أنه عاصر تأليف أضداد ابن الأنباري وأضداد أبي

الطيب ، وهي الحقبة التي افترضنا أن يكون أضداد الفراء مختفياً فيها ، فله في ذلك شيء من حق، خصوصاً وأنه ليس من أرباب اللغة كابن الدهان .

ونستطيع أن نجمع من كتب الأضداد المؤلفة بعده، ومن بعض مؤلفاته ، ومؤلفات اللغويين شيئاً لابأس به من آرائه في الأضداد وفكرة التضاد وحصولها في بعض الألفاظ ، وما نصَّ عليه منها، بحيث يكون هذا المجموع من آرائه نواة لكتابة الضائع وصورة له ، إن لم نقل كاملة فقريبة منه ، وربما استطعنا أن نتبين منها منهجاً خاصاً أو طريقة معينة .

يضاف إلى هذا ما نقلته عنه كتب الأضداد ، فقد ذكره الأصمعي في أضداده مرتين[٢٤]، وابن السكيت في أضداده ثلاث مرات [٢٥]وابن الأنباري في أضداده سبعاً وسبعين مرة [٢٦] وأبو الطيب اللغوي في أضداده خمس مرات [٢٧]، وكلهم يذكر رأيه في اللفظة التي يعالجونها ، أو إنشاده لبيت أو أبيات من الشعر شاهداً عليها ، أو ذكره لقراءة من القراءات السبع للمصحف ، أو نصه على لغة ما واستعمال معين ، وما إلى ذلك . واستشهدت برأيه معجمات اللغة ، وذكرت آراء ه في كلمات الأضداد التي تعرّض . وتدل هذه الكثرة من النقول عنه والاستشهادات بآرائه أنه كان من المعنيين بهذا الجانب من اللغة عناية ليست باليسيرة ، بحيث يسوغ لنا أن نجزم بصحة اعتقادنا الذي بنيناه على إشارة ابن الدهان ، من أنه كان قد وضع كتاباً في الأضداد لم يصل إلينا ، ومجموع هذه النقول هي نواته أو صورته .

* ومن المصنفات التي سبقت ابن الأنباري كتاب الأضداد لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (٢١٠هـ) [٢٨]. له من الكتب غير الأضداد والغريب مجموعة كبيرة ، منها : (إيسام العرب ، طبقات الفرسان ، نقائض جرير والفرزدق، الخيل الإبل ، السيف ، اللغات ، المصادر ، خلق الإنسان ، وغيرها) . أما نسبة كتاب (الأضداد) له ، فهي نسبة موثقة ، فقد ذكرت الكتاب المصادر القديمة ابتداءً بالفهرست لابن النديم وانتهاءً بإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي . والكتاب مفقود في جملة الكتب التي لم تصل. إلا أن نقول كتب الأضداد ومصنفات اللغة عنه كثيرة ، بحيث بلغ مجموع ذلك في هذه الكتب (١٩٢) ذكراً موزعة

كالآتي : ذُكر في أضداد الأصمعي (١٨) مرة ، وأضداد ابن السكيت (٢٠) مرة، وأضـــداد أبو حاتم السجستاني (٢٠) مرة وأضداد قطرب (٣) مرات ، وأضداد أبي الطيب (٨٣) مرة ، وفي لسان العرب لابن منظور(٦) مرات تخص الأضداد، ومرة واحدة في خزانة الأدب ، ومرة واحدة في الاقتضاب للبطليوسي ، ومرة واحدة فـــي التنبـــيهات لعلـــي بن حمزة ، وكلها في الكلام على لفظة من ألفاظ الأضداد . وواضـــح أنهـــا مجموعة كبيرة من النقول تفوق مجموع النقول عن الفراء في هذه الكتـــب ، إلا أن الفراء فاقه في واحد من هذه الكتب ، وهو أضداد ابن الأنباري ، والســـبب واضح إذا علمنا أن ابن الأنباري كوفي النزعة تتلمذ لثعلب وهوتلميذ سلمة الـــذي هـــو تلميذ الفراء ، فمن الطبيعي أن يكون النقل عنه أو ذكره في الكتاب فائقاً ذكر أبي عبيدة البصري ، هذا كله عدا ما ورد من إشاراته لبعض ألفاظ الأضداد في كتابه مجاز القرآن .

*ومـــن كتب الأضداد التي سبقت ابن الأنباري كتاب الأضداد لأبي سعيد عـــبد الملك بن قريب الباهلي الأصمعي (ت٢١٦هـــ) [٢٩]. وللأصمعي مصنفات كثـــيرة . منها فيما عدا كتاب الأضداد : غريب القرآن ، خلق الإنسان ، الأجناس ، الأنـــواء الهمـــز ، المقصور والممدود ، الصفات ، الإبل ، الخيل ، وغيرها . ولقد ذهـــب بعـــض الباحثيـــن المحدثيـــن [٣٠] إلى أن (كتاب الأضداد) للأصمعي ليس للأصمعي وإنما هو نسخة أخرى من أضداد ابن السكيت . وهناك أيضاً من الباحثين من تصدى لهذا الشك وفنّده وناقش القضية مثبتاً الكتاب للأصمعي [٣١] وهناك أيضاً كـــتاب (الأضـــداد) لأبي يوسف يعقوب بن اسحق السكيت (ت٢٤٤هـــ) [٣٢]. من كـــبار اللغويين في عصره ، درس على الفراء وأبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي من الكوفيين وروي عنهم ، كما أخذ عن الصمعي وأبي عبيدة والأثرم من البصريين والـــتقط اللغـــة من أفواه الأعراب .وله من المصنفات غير كتابة الأضداد : إصلاح المـــنطق ، تهذيب الألفاظ ، الأمثال ، الأجناس ، النوادر ، سرقات الشعراء ، القلب والإبدال ، المقصور والممدود ، السرج واللجام .

* ومن المؤلفين أيضاً في هذا المجال أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي الهروي (ت٢٤٤هـ) [٣٣].

وأقدم إشارة لكتابه (الأضداد) هي إشارة المزهر للسيوطي [٣٤](ت٩١١هـ) وهي إشارة متأخرة لو قيست بما ذكره ابن النديم المتوفي ٣٧٧هـ من إشارته لكتب الأضداد ، ومن الغريب عدم العثور في المصادر المختلفة والفهارس القديمة التي سبقت السيوطي على ذكر لكتاب الأضداد بين كتب أبي عبيد . ومن الممكن أن يكون كتاب (الأضداد) الذي نسبه السيوطي وحده لأبي عبيد ، ما هو إلا (باب الأضداد أو كتاب الأضداد) من الغريب المصنف ، نسخه ناسخ دون سائر أبواب الكتاب ـ والتي سُمّي بعضها بالكتب ككتاب الطير أو كتاب الوحوش ـ مُعَنْوِناً إياه (كتاب الأضداد لأبي عبيد) ، حتى إذا وقع بيد السيوطي ظن أنه كتاب خاص لأبي عبيد في الأضداد ، يؤيد هذا الذي نذهب إليه أن أوضح ما نقل عنه من آرائه في الأضداد هي من (باب الأضداد أو كتاب الأضداد) في الغريب المصنف بالحرف الواحد . ونستطيع أن نفسر قلة مواد (باب الأضداد) في الكتاب بأن أبا عبيد قد أخرج من هذا الباب ما أدخله غيره فيه ، لهذا لم يشتمل ٠ (باب الأضداد) في الغريب المصنف إلا أربعين مادة فقط ، وحتى هذه الأربعين قابلة للتقليل فيما لو عمل فيها أبو عبيد طريقته في إرجاع المواد إلى أبوابها ومحاولة تفسير دلالتها ، خصوصاً تلك التي يكون أثر التصريف واضحاً فيها .

* كذلك أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي أو التوجي (ت٢٣٣هـ) [٣٥]. وهو من أكابر أئمة اللغة ، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والأخفش وقرأ كتاب سيبويه على الجرمي . قال عنه المبرد قال عنه المبرد ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد التوزي، كان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة ونُقِلَ أنه ناظر أبا حاتم السجستاني في اللغة و النحو فتفوق عليه. أما كتاب (الأضداد) فربما كانت الإشارة إليه هي أقدم الإشارات على الإطلاق لمجموع كتب الأضداد ، فقد ذكره ونقل عنه المبرد المتوفي سنة ٢٨٥ هـ في كتابه الكامل ، وبين التوزي والمبرد من الزمن اثنتان وخمسون سنة فقط من

ملاحظـــة تاريخ وفاتهما ، أما إذا أخذنا زمن تأليف الكامل بنظر الاعتبار ـ أي في حياة المبرد ـ فتكون المدة أقصر من ذلك ، ونستشعر من نصوص المبرد المنقولة عـــن الكـــتاب ، أنه رأى الكتاب أوحدّثه التوزي نفسه عمّا فيه " حدثني التوزي في كتاب الأضداد " [٣٦] ، " وأنشدني التوزي عن أبي زيد " [٣٧]" ذكر التوزي في كتاب الأضـــداد " [٣٨]، مما يُوثق نسبة الكتاب ووجوده متداولاً في الأيدي مدة من الزمن . حتى إذا جئنا إلى أبي الخير الأشبيلي (ت ٥٧٥) وجدناه يروي الكتاب عن شيوخه في الأندلس [٣٩] .

وعلـــى أن الكتاب من الكتب الضائعة التي لم تصل ، إلا أننا نستطيع أن نتبين شيئا منه مما نقلته عنه الكتب والمصادر ، فقد نقل عنه المبرد في الكامل مرتين [٤٠] ، وفي (ما اتفق لفظه واختلف معناه) مرة واحدة [٤١] ، وذكره أبوالطيب اللغوي في أضداده خمســاً وســبعين مرة [٤٢]، فيكون مجموع ما نقل من آرائه وإنشاده في الأضداد ثمانية وسبعين مرة . ومنها نستطيع أن نقف على منهجه فيه ورويته للأضداد .

* ومن المصنفات السابقة على ابن الأنباري ما صنّفه أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني الجشمي (ت ٢٤٨ هـــ) [٤٣] .وله من المؤلفات عدا كـــتابه فـــي الأضداد : ما يلحن فيه العامة ، المذكر والمؤنث ، المقصور والممدود، القـــراءات ، خلق الإنسان ، الاتباع ، النخل ، الوحوش ، الادغام ، الأضداد ، وغير ذلك كثير .

أمـــا كـــتابه في الأضداد فلعله كان أكثر منهجية ونضجاً في تصنيفه ممن وصلتنا كتـــبهم قـــبله قطرب والأصمعي ،ابن السكيت . ويتجلى ذلك على سبيل المثال في عنوان الكتاب إذ اختار له أبو حاتم أن يكون (كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب والمـــزال عـــن جهـــته والأضـــداد) وفـــي هذه التسمية دقة لم نعهدها عند قطرب والأصـــمعي وابن السكيت ، ذلك أن أبا حاتم تنبه إلى ما يمكن أن يدخل في هذا مما عُدَّ من الأضداد وهو ليس منها ، وهو (المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته) لأن المقلوب والمزال قد دخلا عند أولئك في الأضداد .

كذلك ظهرت هذه المنهجية في تقديمه للكتاب بمقدمة قصيرة يوضح فيها أسباب تأليفه للكتاب ودوافعه ، وهذا ما لم يفعله الأصمعي ولابن السكيت ، أما قطرب فقد فعل مثل هذه المقدمة بشيء من الاختصار ، ففي الوقت الذي يكون الدافع فيه للتأليف عند قطرب هو جمع مواد الأضداد لقلتها وظرافتها في العربية ، يكون الدافع عند السجستاني بالدرجة الأولى هو توضيح حقيقة المعاني القرآنية ، حيث يقول أبو حاتم: " حملنا على تاليفه أنّا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً فأوضحنا ما حضر منه إذا كان يجيء في القرآن " (٤٤) .

* ومن المصنفات السابقة على ابن الأنباري أيضاً كتاب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) (٤٥) ومن مؤلفاته : إعراب القرآن ، أدب الكاتب ، مختلف الحديث ، الشعر والشعراء ، الخيل ، دلائل النبوة ، إصلاح أبي عبيد ، المسائل والأجوبة ، وغير ذلك أما الكتاب المنسوب إليه في الأضداد فلا نملك فيما عُدَّ من مؤلفات ابن قتيبة في مصادر ترجمته والفهارس القديمة أية إشارة إلى هذا الكتاب أو إلى أنه ألّف في الأضداد . نعم عقد للأضداد فصولاً في كتبه وأحصى منها قدراً وربما ناقش ضدية بعضها إلا أن هذا لا يعني انه ألّف في الأضداد كتاباً مستقلاً .

* وهناك أيضاً أبو علي عسل بن ذكوان النحوي العسكري (٤٦) . ذكرته بهذا الاسم كل مصادر ترجمته سوى (الفهرست) لابن النديم ، فقد سمّاه (عبيد بن ذكوان) ، واحتمال التصحيف وارد وقريب ، ذلك أن أسنان السين في عسل هي الباء والياء في عبيد ، واللام في تلك هي الدال في هذه بشيء من الصغر في رسم الأخيرة . ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته ، فقد اكتفت بأن حددت عصره بعصر المبرد سنة خمس وثمانين ومائتين . أما كتابه الأضداد فهو من الكتب المفقودة ، فلم يذكره من المصادر القديمة إلا (الفهرست) لابن النديم ، وعنه نقل اسماعيل البغدادي في (إيضاح المكنون) . فالفهرست هو المصدر الوحيد الذي أشار إلى الكتاب وعدَّه ثالث مصنفات عبيد بن ذكوان .

* ومن المصنفات السابقة على ابن الأنباري ما كتبه أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب (ت ٢٩١هـ [٤٧] . إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه ، حفظ كتب الفراء فلم يشذّ منها حرف ، وعني بالنحو أكثر من غيره ، فلما أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب ، إذ نظر في النحو وله ثمان عشرة سنة ، وصنَّف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يدرس كتب الفراء وكتب الكسائي درساً . لازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة ،سمع من محمد بن سلام الجمحي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة بن عاصم وعبيد الله بن عمر القواريري وخلف والزبير بن بكار وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم .

له من المصنفات : المصون في النحو ، معاني القرآن ، القراءات ، معاني الشعر ما ينصرف وما لا ينصرف ، الفصيح المجالس ، الأضداد ، وغيرها كثير .

أما كتابه الضائع في الأضداد فقد عدَّه ابن الدهان (ت ٥٦٩هـ) بين كتب الكبار من العلماء التي يُرجع إليها للاستزادة والاطلاع على الشواهد . ومما يؤكد تأليف ثعلب لكتاب الأضداد ووجوده متداولاً في الأيدي مدة طويلة من الزمن أن ابن خير الأشبيلي (ت ٥٧٥هـ) رواه عن شيوخه ، وذكر لنا هذه الرواية في فهرسته [٤٨] . ومعنى هذا أن الكتاب وصل إلى الأندلس عن طريق أبي علي القالي البغدادي ــ على ما يبدو من سند الرواية ــ وتلقفه العلماء بالرواية واحداً عن واحد، وهذا يبعد الشك في تأليفه أو وجوده .

ورغم غياب الكتاب إلا أننا نستطيع أن نتبين ظواهره المنهجية وخصائصه المدرسية مما خلفته لنا المصادر التي عنيت بنقل رأيه في الأضداد ، وعلى رأسها كتابه (مجالس ثعلب) الذي حفظ لنا خمس عشرة مادة من مواد الأضداد التي ذكرها ثعلب نفسه وناقشها ، ومثله كتابه المفقود (مجاز الكلام وتصاريفه) الذي نقل السيوطي عنه إحدى عشرة لفظة من الأضداد [٤٩]، كما حفظ لنا كتاب (الأضداد) لابن الأنباري رأيه في مواد الأضداد وإنشاده لشواهدها في واحد وستين موضعاً ، يضاف إلى ذلك ورود ذكره في مواد الأضداد في لسان العرب

خمس عشرة مرة ، وفي مواد الأضداد في تاج العروس ست مرات ، وقريب من هذين العددين في تهذيب اللغة والصحاح . فيكون من مجموع ذلك مادة وفيرة تصلح أن تكوِّن صورة صادقة قريبة لكتابه المفقود معدَّة للدراسة واستجلاء الظواهر المختلفة . ويجدر بنا أن نشير إلى أن أبا بكر بن الأنباري في نقله عن ثعلب كان مهتماً في المقام الأول بجوانب معينة من كتاب ثعلب ، اهتمامه الواضح بالشعر والتعليقات المختلفة على الشواهد الشعرية ، دون غيره من الشواهد الذي يشمل القرآن والحديث والمثل والمأثور وغير ذلك . ويؤيد هذا أن ثعلباً نفسه قد اهتم بالقرآن الكريم وآياته في مجال الأضداد عندما عرض له في كتابه (المجالس) ولابد أن يكون تعرضه لها أكثر في كتاب يجرده للأضداد . إلا أن أبا بكر بن الأنباري لم ينقل عنه شيئاً من ذلك في كل المواضع التي ذكره فيها .

وفي ختام قراءاتنا للمصنفات السابقة على أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري في مجال الأضداد يتبيَّن لنا مجموعة من الملاحظات تكشف لنا عن طبيعة العلاقة بين ابن الأنباري وبين هذه المصنفات ، ومدى استفادته من المادة العلمية الواردة في هذه المصنفات في باب الأضداد ، وسوف نعرض لهذه الملاحظات فيما يأتي :

* أول هذه الملاحظات أنه نقل كثيراً من المواد المتعلقة بالأضداد عن سابقيه من العلماء سواء أكانوا بصريين أو كوفيين إلا أن نقوله عن الكوفيين كانت أكثر وفرة من نقوله عن البصريين ويبدو ذلك لأنه كان كوفي النزعة فلقد نقل عن أضداد الفراء الكوفي المذهب (٧٧مرة) بينما نقل عن أبي عبيدة البصري المذهب (٤٢ مرة) والسبب واضح إذا علمنا أن ابن الأنباري كوفي النزعة تتلمذ لثعلب وهو تلميذ الفراء ، فمن الطبيعي أن يكون النقل عنه أو ذكره في الكتاب فائقاً ذكر أبي عبيدة البصري . ومن الكوفيين الذين نقل عنهم ابن الأنباري في أضداده ابن السكيت ، وكذلك ثعلب حيث حفظ لنا كتاب ابن الأنباري رأى ثعلب في مواد الأضداد وانشاء لشواهدها في واحد وستين موضعاً ، وإذا تأملنا نقوله عن ثعلب وجدنا أنه كان مهتماً في الدرجة الأولى بجوانب معينة أكثر النقل منها ، ومنها اهتمامه الواضح بالشعر

والتعليقات المختلفة على الشواهد الشعرية ، دون غيرها من الشواهد التي تشمل القرآن والحديث والمثل والمأثور وغير ذلك . ويؤيد هذا أن ثعلباً نفسه قد اهتم بالقرآن الكريم وآياته في مجال الأضداد ، عندما عرض له في كتابه (المجالس) ولابد أن يكون تعرضه لها أكثر في كتاب يجرده للأضداد . إلا أن أبا بكر لم ينقل عنه شيئاً من ذلك في كل المواضع التي ذكره فيها .

كذلك نقل عمَّن اهتم بالأضداد من البصريين فلقد نقل عن قطرب الذي كان كتابه في الأضداد يضم مادة ثرية في الأضداد بلغت نحو ثماني عشرة ومائتين لفظة من الأضداد ، ففتحت الطريق أمام الذين ألفوا في الأضداد . فكثيراً ما نقلوا عنه وأشاروا إليه وأخذوا مفرداته يضيفون إليها ويحذفون منها مشاركين تارة ومخالفين أخرى ، إلا أنهم جميعاً لم يمحصوا ما نقلوه تمحيصاً دقيقاً فتسرب من جراء ذلك خطأ كنا نريد أن يُتلافى في كتبهم ، من مثل تكرير ابن الأنباري لمادة (زَعوم) في أضداده لتكرير قطرب إياها ، ومن مثل التصحيف في (بل رِديه) فصارت (برِّديه) وعُدت من ألفاظ الأضداد .

أيضاً نقل عن أضداد أبي حاتم السجستاني الذي نشأ في كنف البصريين فأخذ النحو واللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وعمر بن كركرة وروح بن عبادة وغيرهم من أئمة البصريين ، فضلاً عن قراءاته كتاب سيبويه على الأخفش مرتين . ويبدو أن ابن الأنباري لم يكتف بالنقل عنه في الأضداد فحسب بل تأثر به في منهجه في كتابه(الأضداد) وذلك لأن كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني كان أكثر منهجية ونضجاً في تصنيفه ممن وصلتنا كتبهم قبله : قطرب والأصمعي وابن السكيت . ولقد تجلى ذلك النضج عند أبي حاتم ثم تراءى لنا عند ابن الأنباري في كتابه ، ومن ذلك عنوان الكتاب إذ اختار له أبو حاتم أن يكون (كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد) وفي هذه التسمية دقة لم نعهدها عند قرطب والأصمعي وابن السكيت ، ذلك أن أبا حاتم تنبه إلى ما يمكن أن يدخل في هذا مما عُدّ من الأضداد وهو ليس منها وهو (المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته) في تقديمه لكتابه بمقدمة قصيرة يوضح فيها أسباب التأليف ودوافعه وهذا ما لم يفعله الأصمعي ولا

ابن السكيت ، أما قطرب فقد فعل مثل هذه المقدمة بشيء من الاختصار ، بينما ابن الأنباري فقد صدَّر كتابه بمقدمة أفاض فيها الحديث عن أسباب تأليفه للكتاب ودوافعه لذلك .

كذلك تأثر ابن الأنباري في أضداده بمن سبقوه من العلماء الذين صنفوا في الأضداد وتراوحت مشاربهم بين المذهب البصري والكوفي في نفس الوقت ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي الهروي الذي أخذ عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي واليزيدي وغيرهم من البصريين ، كما أخذ عن أبن الأعرابي وأبي زياد الكلابي ويحيى الأموي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء من الكوفيين كما تأثر ابن الأنباري بأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الذي قيل عنه أنه كان يغالي في مذهب البصريين إلا أنه خلط المذهبين وحكى في كتبه عن الكوفيين .

* وثاني هذه الملاحظات التي تكشف عن طبيعة العلاقة بين ابن الأنباري وسابقيه ممن كتبوا في الأضداد . فابن الأنباري في أخذه عن سابقيه لم ينقل عنهم حرفياً وإنما كانت له شخصيته وثقافته التي تجعله يمحِّص ما يأخذه وينتقي منه ، سواء كان الذي ينقل عنه بصرياً أو كوفياً مثله ، ولقد لاحظنا هذا في أخذه عن أبي عبيدة البصري . وإن كان قد نقل أكثر عن الفراء إمام الكوفيين ويبدو أن السبب في ذلك أن الفراء يتفق مع ابن الأنباري في نزعته الكوفية . ولكن ابن الأنباري كانت له شخصيته وثقافته التي تجعله يُمَحّص ما يأخذه عن سابقيه حتى وإن كان يتفق معه يتفق معه في نزعته الكوفية ، ولقد لاحظنا هذا في أخذه عن ثعلب جوانب معينة منها اهتمامه الواضح بالشعر والتعليقات المختلفة على الشواهد الشعرية ، دون غيرها من الشواهد التي تشمل القرآن والحديث والمثل المأثور وغير ذلك ، بينما كان ثعلب يهتم إلى جانب ذلك بشواهد من القرآن الكريم وآياته في مجال الأضداد عندما عرض لها في كتابه (المجالس) ولابد أن يكون له تعرضه أكثر في كتاب مجرده للأضداد . إلا أن أبا بكر لم ينقل عنه شيئاً من ذلك في كل المواضع التي ذكره فيها .

* ومـــن الملاحظات التي تكشف أيضاً عن طبيعة العلاقة بين ابن الأنباري وســـابقيه ، أن كثيراً من النقول التي أخذها عن كثير من العلماء ضاعت كتبهم ولم تصل إلينا وبذلك ظلت هذه المادة الباقية من هذه الكتب عند ابن الأنباري هي الوثيقة التـــي تثبت وجود هذه الكتب قبل فقدها ، فضلاً عن أنها أتاحت لنا الفرصة للتعرف علـــى كتـــب هؤلاء العلماء مما يمكننا من دراستها للوقوف على منهجهم فيما يتعلق بقضية الأضداد ، ومن بين هذه الكتب : كتاب الأضداد للفراء الذي لا نملك ذكراً له في المصادر والفهارس القديمة إلا إشارة ابن الدهان في أضداده ، وكذلك الأصمعي الـــذي ذكره في أضداده مرتين (٥٠) ، وابن السكيت في أضداد ثلاث مرات (٥١) أما ابـــن الأنـــباري فكـــان له النصيب الأكبر من النقل عنه حيث ذكره في أضداد سبعاً وسبعين مرة (٥٢) ، وأبو الطيب اللغوي في أضداه خمس مرات ، وكلهم يذكر رأيه فـــي اللفظـــة التي يعالجونها ، أو إنشاده لبيت أو أبيات من الشعر شاهداً عليها ، أو ذكره لقراءة من القراءات السبع للمصحف الشريف ، أو نصه على لغة ما واستعمال معين ، وما إلى ذلك . ومن خلال هذه النقول عن الفراء في هذه المصنفات نستطيع أن نـــتلمس صورة الكتاب وأسس منهجه العلمي أو المدرسي الذي زعمنا توفره في مصنفات الكوفيين ، والفراء شيخهم وإمامهم .

ومـــن الكتـــب التي لم تصلنا ولكنها ظلت باقية في نقول ابن الأنباري وغيره عنها ، كتاب الأضداد لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ، حيث بلغ مجمـــوع نقولا كتب الأضداد ومصنفات اللغة عنه (١٩٢) ذكراً موزعة كالأتي : ذكـــر فـــي أضـــداد الأصـــمعي (١٨) مرة ، وأضداد ابن السكيت (٢٠) ، وأضداد السجستاني (٢٠) مرة ، وأضداد قطرب (٣) مرات ، وأضداد ابن الأنباري (٤٢) مـــرة ، وأضـــداد أبي الطيب (٨٣) مرة ، وفي لسان العرب (٦) مرات تخص الأضـــداد ، ومـــرة واحـــدة في خزانة الأدب للبغدادي ، ومرة واحدة في الاقتضاب للبطليوسي ، ومرة واحدة في التنبيهات لعلي بن حمزة ، وكلها في الحديث على لفظة مـــن ألفـــاظ الأضـــداد ، وواضح أنها مجموعة كبيرة من الذكر تفوق مجموع ذكر الفراء في هذه الكتب ، إلا أن الفراء فاقه في واحد من هذه الكتب ، وهو أضداد ابن

الأنباري ، والسبب واضح إذا علمنا أن ابن الأنباري كوفي النزعة تتلمذ لثعلب وهو تلميذ سلمة الذي هو تلميذ الفراء ، فمن الطبيعي أن يكون النقل عنه أو ذكره في الكتاب فائقاً ذكر أبي عبيدة البصري . خلاصة القول فإننا من مجموع هذه النقول وفي مقدمتها ما ورد عند ابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي حيث كان لهما الحظ الأوفر من هذه النقول ، منها جميعاً نستطيع أن نقف على صورة كتاب أبي عبيدة ومنهجه في معالجة قضية الأضداد .

ومن الكتب المفقودة في مجال الأضداد وكان لنقول ابن الأنباري عنه دور كبير في الحفاظ عليها وإتاحة الفرصة لنا للوقوف عليه مما يمكننا من معرفة ، منهجه ، كتاب الأضداد لأبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة .

هذا الكتاب الذي عدَّه ابن الدهان (ت ٥٦٩هـ) بين كتب الكبار من العلماء التي يُرجع إليها للاستزادة والاطلاع على الشواهد . وبالرغم من عدم وجود الكتاب بين أيدينا إلا أننا نستطيع أن نتبين ظواهره المنهجية وخصائصه المدرسية مما خلفته لنا المصادر التي عنيت بنقل آرائه في الأضداد وعلى رأسها كتابه (مجالس ثعلب) الذي حفظ لنا خمس عشر مادة من مواد الأضداد التي ذكرها ثعلب نفسه وناقشها ، ومثله كتابه المفقود (مجاز القرآن وتصاريفه) الذي نقل السيوطي إحدى عشرة لفظة من الأضداد (٥٣) ، كما حفظ لنا كتاب (الأضداد) لابن الأنباري رأيه في مواد الأضداد وإنشاده لشواهدها في واحد وستين موضعاً، يضاف إلى ذلك ورود ذكره في مواد الأضداد في لسان العرب خمسة عشرة مرة ، وفي مواد الأضداد في تاج العروس ست مرات ، وقريب من هذين العددين في تهذيب اللغة والصحاح ، فيكون من مجموع ذلك مادة وفيرة تصلح أن تكوِّن صورة صادقة قريبة لكتابه المفقود معدَّة للدراسة واستجلاء الظواهر المختلفة . وهذا يكشف لنا طبيعة العلاقة بين ابن الأنباري وسابقيه ممن صنفوا في الأضداد فإذا كان ابن الأنباري قد أفاده الاطلاع على كتابات سابقيه فإنه أيضاً أسدى لكثير منهم صنيعاً خاصة من فقدت كتبهم ولم

تصل إلينا حيث ظلت كتبهم محفوظة من خلال نقول ابن الأنباري عنهم كوثيقة شاهدة على تأليفهم في مجال الأضداد .

ثانياً : دواعي تأليفه في الأضداد :

منذ أن وجد الحديث عن الأضداد اختلف موقف الدارسين منها بين مؤيِّد يدافع عنها ويدلِّل على وجودها في اللغة يحاول تفسيرها ، وبين منكر لهذا الوجود ينعى على العربية احتضانها لهذه المواد ويعيب عليها عدم الدقة في دلالة ألفاظها . ومن الطبيعي وجود المؤيدين أسبق في الظهور من المعارضين ، إذ لولا وجودهم لما ظهر الرد والإنكار من الطرف الآخر ، وبذلك يكون الرواة الأوائل للألفاظ المتضادة هم أوائل المؤيدين لوجود الأضداد في اللغة ، كما نفرض أن يكون مؤلفو معجمات الأضداد جميعاً على طريق التأييد كذلك ، سوى وقفاتهم العابرة في مصنفاتهم هذه حيال بعض الألفاظ التي يعالجون ضديتها، مما نستشعر منه شكهم في تضادها ، هذا إذا لم ينصوا فعلاً على أنها ليست من الأضداد كما فعلوا في مواضع غير قليلة من كتبهم . أما إنكار الأضداد أصلاً والطعن على العربية في هذه الناحية فهو وإن تأخر على تاريخ البدء بروايتها والتأليف فيها إلا أنه كما يظهر قديماً أيضاً وقد رافق التدوين مبكراً لأننا نجد ذكر الطاعنين عند ابن الأنباري الذي توفى سنة ٣٢٨هـ والذي يمكن أن يكون قد ألف كتابه في أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع ، فإذا عرفنا أن أول كاب الأضداد قد تم تأليفه في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث على يد قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، عرفنا أيضاً أن هؤلاء المنكرين وُجدوا في حدود القرن الثالث قريبين من عصر التدوين الأول للأضداد ومتأخرين عن روايتها قليلاً. وعندما نقول إن التأييد سبق الإنكار يجب أن نفرق بين معنى الدفاع ، فالتأييد معنى خاص يتوفر في كل كتب الأضداد وفي أنفس مؤلفيها وإن لم تتعرض هذه الكتب إلى وجود الأضداد وعدم وجودهما أو تبحث في تفسيرها أو تدافع عنها ، فمجرد القيام بوضع معجم خاص بألفاظ تضادت معانيها والاستشهاد عليها يعني وحده تأييد الفكرة. أما الدفاع فهو معنى أعم من التأييد لأنه يتطلب مع المعنى الأول البرهنة على وجود الأضداد في اللغة والتدليل على صحة ورودها عن

العرب وسلامة استعمالاتها في أساليبهم ومحاولة تفسيرها، وهو أمر لا يوجد إلا بعد وجود الإنكار. (٥٤) .

فبعد أن ظهرت كتب المؤيدين للأضداد في عصر التدوين الأول لها في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري على يد : قطرب ٠(ت ٢٠٦هـ) ، والفراء (ت٢٠٧ هـ)، وأبي عبيدة (٢١٠ هـ)، وأبي القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) وأبي محمد التوزي (ت٢٣٣ هـ) ، وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، وأبي حاتم السجستاني (ت٢٤٨ هـ) ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، وثعلب (ت ٢٩١هـ) وغيرهم من أوائل الأضداديين ، انبرى لإنكار ما جاء به هؤلاء من مادة جماعة من الدارسين اختلفت مناهجهم في الإنكار بمقدار ما اختلفت نيتهم فيه .

ويأتي على رأس هؤلاء المنكرين الشعوبيون وأهل الزيغ والإزراء بالعرب يوتون الطعن على العرب من ناحية أن وجود الأضداد في اللغة دليل عدم الإبانة والغموض والاضطراب ، وهؤلاء المنكرون هم الذين تصدّى لهم ابن الأنباري بالرد على ادعاءاتهم في مقدمة كتابه (الأضداد) ، ويبدو أن هذا الهدف كان الدافع الأول لتأليفه كتابه للدفاع عن العربية والوقوف في وجه هؤلاء المنكرين ، يقول ابن الأنباري في مقدمة كتابه : " ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضح تأويله فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى " (٥٥) . وهي فكرة مجملة عن إزراء هؤلاء الشعوبيين بالعرب من هذه الناحية ، فلا ندري هل وضع أحدهم كتاباً أو سجلت آراؤهم ومناقشاتهم ونقلت عنهم ، ومتى بالضبط كان ذلك ومن هم رجال هذا المذهب ؟ ، كل ذلك مجهول لأن كتب الأضداد وابن الأنباري على وجه الخصوص لم يسعفنا بهذه المعلومات . غير أننا نستبعد أن يكون المقصود بهؤلاء هم ابن درستويه ومن سار على نهجه كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين (٥٦). لأن ابن درستويه متأخر عن ابن الأنباري في الزمن فقد توفى سنة

٣٤٧هـ ، وإذا كان ابن الأنباري قد ألّف كتابه قبل وفاته ٣٢٨هـ بعشرين سنة مثلاً، فتكون هذه المدة الطويلة مبعدة احتمال تأليف ابن درستويه لكتابه (أبطال الأضداد) قبل تأليف ابن الأنباري كتابه فلا يكون الأخير مشيراً إلى ابن درستويه فضلاً عن أن يكون المقصود أحد أنصار ابن درستويه أو الذاهبين مذهبه في الإنكار[٥٧]. فأهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب – كما يبدو – جماعة من الأعاجم تتوفر فيهم الروح الشعوبية والرغبة في الانتقاص من العرب عاشت بين ظهراني الوسط المثقف في الأضداد سنداً تسند إليه في الطعن على اللغة والنيل منها فهب ابن الأنباري للدفاع عن الأضداد وردّ دعاوي الشعوبيين وتفنيد مزاعمهم وآرائهم.

ولقد اختلف منهج ابن الأنباري في الدفاع عن وجود الأضداد في اللغة عن منهج الآخرين الذين تصدوا للدفاع عن هذه القضية . فكان منهم من اعتمد في الدفاع عن وجود الأضداد مستنداً على النقل والرواية في البرهنة على وجودها مثل ابن فارس ، ومنهم من اعتمد على المنطق والجدل العقلي مثل ابن سيده ، أما ابن الأنباري فقد اعتمد في دفاعه على تفسير نشأة الأضداد والظروف التي عملت على وجودها .

فابن فارس في دفاعه عن وجود الأضداد يقرر أولاً أن " من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد . نحو (الجون) للأسود ، و (الجون) للأبيض "[٥٨]. وهو اعتماد محض على النقل ، واعتبار الأضداد ظاهرة (سُنَّة) لغوية شأنها شأن الترادف والاشتراك لا يمكن إنكارها وما دامت كذلك فلابد من الاعتراف بوجودها ، ثم يؤكد ابن فارس صحة البرهنة بالنقل على وجود الأضداد مطعماً ذلك بشيء من الاستدلال العقلي فيقول " وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده ، وهذا ليس بشيء . وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمّي السيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحداً " [٥٩] . فهو يرى أنه إذا صحّت رواية الترادف عن العرب فلماذا لا تصح رواية الأضداد عنهم والرواة هم الرواة ، فإن كان علينا أن نصدقهم وجب أن

نصدقهم فيما رووه جميعاً ، وإن كان علينا أن نكذبهم وجب أن نفعل ذلك في جميع ما قالوا فليس من المعقول أن نصدقهم إذا رووا لنا ما يعجبنا ، ونكذبهم إذا رووا لنا مالم يعجبنا وابن فارس من شدة حماسته لفكرته المتأثرة بإيمانه بنظرية (توقيف اللغة) وضع كتاباً في الرد على منكري الأضداد ، إذ يقول: " وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا ردَّ ذلك ونقضه فلذلك لم نكرره"[٦٠].ولكن الكتاب لم يصل إلينا . والظاهر من منهج ابن فارس ومذهبه في الاستدلال أنه ضمَّن الكتاب الكثير من الشواهد الشعرية والنثرية وذكر أقوال الرواة والعلماء ، كل ذلك للتدليل على صحة ورود الأضداد عند العرب وصدق روايتهم عنهم بعد أن نطقت بها أشعارهم وأقوالهم .

أما ابن سيده فلقد حاول عن طريق الجدل المنطقي أن يثبت أولاً وجود المشترك اللفظي في اللغة ، فإذا ما أثبته بدليل النقل والعقل أثبت أيضاً وجود الأضداد في كلام العرب لأن الأضداد نوع من المشترك ولكنه نوع أخص منه [٦١] . وواضح أن منهج ابن سيده في الدفاع عن الأضداد يختلف عن منهج ابن فارس على الرواية والنقل واستقراء الظواهر اللغوية ، يعتمد ابن سيده على العقل والمحاكمة المنطقية والتقسيم الجدلي للبرهنة على وقوع الأضداد . كما اتضح لنا من خلال ردهما ودفاعهما انهما يحاولان اثبات وجود الأضداد في العربية في مقابل المنكرين لفكرة وجود الأضداد بها . أما ابن الأنباري فلم ينظر للمسألة من هذه الزاوية ، وإنما نظر إليها على أنها أضداد موجودة الآن في اللغة ولا مانع من أن يكون أحد المعنيين لغة لقبيلة غير القبيلة التي تستعمل المعنى الثاني ، أو أن يرجع بالمعنيين إلى معنى عام شامل ، أو أن السياق هو الذي يعيّن أحد المعنيين ، المهم عنده أن هذه الأمور جميعاً اجتمعت فخلقت أضداداً في اللغة ، فلقد استغل ابن الأنباري هذه التفسيرات المختلفة لنشوء الأضداد – والتي سنتعرض لها بالتفصيل في المبحث الخاص برأيه في نشأة الأضداد – للدفاع عن اللغة أمام أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب وكأنه يريد أن يبرهن لهم من ذلك على أن التضاد ليس أصلاً في وضع اللفظة وإنما هو نتيجة عامل من هذه العوامل ، ولا مانع بعد ذلك من أن نقول إن في لغتنا اليوم أضداداً نصنف فيها

الكـتاب ونذكـر فيه شواهدها من الشعر والقرآن ،ومن هذا الفهم الدقيق القائم على الجمع بين النظر إلى عوامل نشوء الأضداد وبين الرغبة في جمعها ودراستها انطلق ابـن الأنباري في دفاعه عن الأضداد ، رداً على المنكرين المتسائلين من أهل البدع والـزيغ والإزراء بالعـرب مـن الشعوبيين ، يقول : " فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسـألوا عـنه بضروب من الأجوبة : أحدهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتـبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والأخبار إلا معنى واحد ، فمن ذلك قول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جَلَلْ والفتى يَسْعى ويُلهيه الأمَل [٦٢]

فدلّ ما تقدم قبل (جَلَل) وتأخر بعده على أن معناه : كل شيء ما خلا الموت يسير، ولا يـتوهم ذو عقـل وتمييز أن (الجَلَل) ها هنا معناه (عظيم)[٦٣]. ثم يقدّم ابن الأنباري مثالاً آخر ، فجاء قوله : " وقال آخر :

فَلَئِن عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاَ ولَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي [٦٤]

قَوْمِي هُمْ قَتَلوا أُمَيْمَ أَخِي فـإذَا رَمَيْتُ يُصِيْبُنِي سَهْمِي

ثـم يـتابع شـارحاً : فدلّ الكلام على أنه أراد : فلئن عفوتُ لأعفونّ عفواً عظـيماً ، لأن الإنسـان لا يفخر بصفحه عن ذنب حقير يسير ، فلما كان اللَّبْس في هذيـن زائـلاً عـن جميع السامعين لم ينكَرْ وقوعُ الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفي اللفْظين "[٦٥].

وهذا الذي يبينه ابن الأنباري هنا هو في جواب من يقول إن وجود الأضداد فـي كـلام المـتكلم يورث اللبس لأن السامع لا يعلم أي معنييّ الضد هذا المتكلم ، فيوضـح ابـن الأنـباري أن قرائن الكلام بما يتقدم الضد وما يتأخر عنه هو الذي يخصص أحد المعنيين ويحصر اللفظة فيه ، وعليه فلا لبس ولا فوضى في الكلام . وفـي الواقـع أن ابن الأنباري يدافع عن اللغة التي احتضنت الأضداد نفسها ، لأن الشـعوبيين الذيـن أشار إليهم ، كانوا يعيبون اللغة لوجود الأضداد فيها ولم ينكروا

وجود الأضداد في اللغة وطرائق التعبير فيها لا على أصل وجود الأضداد ، فالذين يجابههم ابن الأنباري أنكروا على العربية وجود الأضداد فيها ، أما المنكرون عند ابن فارس وابن سيده فقد أنكروا وجود الأضداد في العربية فراح ابن فارس يثبت وجودها بالرواية والنقل وذهب ابن سيده إلى إثباتها بالجدل والمنطق والعقلي . ولهذا عبر ابن الأنباري عن المنكرين الذين عرض لموقفهم ب (أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب) ، ولكن ابن فارس وابن سيده لم ينعتا المنكرين بذلك .

فابن الأنباري يرى أن الاعتلال لنشوء الأضداد على هذا النحو الذي فصله في مقدمة كتابه ، هو مما يجب أن يُعنى به المتصدي للتأليف في الأضداد وبدونه يكون العمل ناقصاً ، إذ لا تقوم الحجة على المنكرين الذين أزروا بالعرب لاستعمالهم ما يورث التعمية وعدم الإبانة لولا بيان هذه الأمور التي توضح أن الأضداد موجودة ولكنها لا تسبب ما زعموه من التعمية والغموض ، ولهذا فهو ينعى على الذين ألفوا في الأضداد انهم لم يعتلوا لها فيقول : " وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء ، وأسقط منها جزءً ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها ، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه ؛ إذ اشتمل على جميع ما فيها ؛ ولم يُعْدَمْ منه زيادةُ الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد . " (٦٦) . فالاعتلال لها لا يمنع القول بها وجمع موادها وإحصائها ، بل كان ابن الأنباري أكثر موضوعية من هذا فقد ناقش في متن كتابه كثيراً من الأضداد التي ذكرها راداً بعضها وشاكاً في البعض الآخر وناصاً على عدم ضدية القسم الثالث ، ومع ذلك فابن الأنباري قد أهمل النظر في أضداد كثيرة حفل بها كتابه وتخلى عن تطبيق شروطه في مواضع كان يجب عليه الأخذ بهذه الشروط ــ وسوف نعرض لذلك حين الحديث عن منهجه في كتابه ــ فكأنه خاف أن يقال له : لماذا إذن وضعت كتابك وأكثر مادته ليست من الأضداد ، وبالرغم من ذلك فإننا نكتفي بأن نعرف أن صورة الأضداد في ذهنه كانت واضحة وإن لم تتحقق كل التحقق في كتابه .

ثالثـاً : الأضداد عند ابن الأنباري المفهوم والمصطلح ودواعي النشأة :

(ا) الأضـداد المفهـوم والمصـطلح :

الأضداد مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف إلى معنيين متضادين وهي

ـ لغـة ـ جمع ضد وهو النقيض والمقابل ، وعليه فليست الأضداد اللفظية التي تـتقابل فـيها المعانـي دون أن يتحد اللفظ كالليل والنهار والطول والقصر والنور والظلمة ، والتي اعتمدت لها بعض كتب الأدب القديمة فصولاً من هذا النوع [٦٧] . ولقـد ذكـر صـاحب لسان العرب أن الضد هو كل شيء ضادّ شيئاً ليغلبه ، وجاء الـتعريف نفسه في تاج العروس للزبيدي وأضاف : السواد ضد البياض ، والموت ضـد الحية ، قاله الليث والضد والضديد : الضد والشبيه والقرين ، ويقال لقي القوم أضـدادهم وأندادهـم أي أقـرانهم . وعن الأخفش : الند : الضد والشبه ، ومنه : (وتجعلون له أنداداً)[٦٨] أي أضداداً وأشباحاً . والضد : ضد ، كما قال أبو عمرو ، قـال تعالى : (ويكونُونَ عَلَيْهِمْ ضِداًّ)[٦٩]أي تكون الأصنام أعواناً على عابديها يوم القـيامة ، وسمع أبو تراب من زائدة : صده وضده صرفه منعه ومنعه برفق . وفي الصـحاح : الضد بالفتح الملء : ضد " [٧٠] . وجاء في المصباح المنير : الضد هو النظـير والكـفء . والجمـع أضداد . والضد خلافه . و(ضادّه مضادةً) إذا باينه مخالفـة ، و (المتضادان) اللذان لا يجتمعان كالليل و النهار [٧١] . وأشار الشرنوبي فـي أقـرب المـوارد إلـى ما دعاه " لغات الأضداد " : اللغات الدالة على معنيين متضـادين كالضد للمثل والمخالف [٧٢] .ولقد عرَّف ابن الأنباري الأضداد من خلال حديثه عن كتابه بقوله : " هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين " [٧٣] .

ونظـراً لأن مؤلفـي الأضداد الذين سبقوا ابن الأنباري تزيَّدوا في جمع مادة الأضـداد فـي كتـبهم وإحصائها بدافع الاستلطاف والغرابة من جهة كما هو عند قطرب، وبدافع خدمة القرآن الكريم والحرص على مؤدَّى ألفاظه من جهة أخرى كما هـو عـند أبي حاتم السجستاني ، مما أدى إلى دخول شيء كثير مما هو بعيد عن

الضدية وضعيف الصلة بها ، مما جعل ابن الأنباري يضع نصب عينيه تنقية تلك المادة ونقد كثير من مزاعم سابقيه في تضاد ألفاظها ، فوضع شروطاً معينة يجب أن تتوفر في اللفظة لكي يصح عدّها من الأضداد مما يعطي صورة عن الفهم الجديد للأضداد الذي لم يتوفر عند أكثر سابقيه ، فيقول : " وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في إحصائها كتباً نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء وأسقط منها جزءً ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال ، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ؛ ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب المؤلفة في مثل معناه ؛ إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يُعْدَم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد "[٧٤]. فهو ينظر بعين ناقدة لمصنفات سابقيه في الأضداد بل كل منهم جاء بجزء وأغفل الجزء الآخر، كما أنهم لم يمحصوا ما جمعوه وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لهذه الألفاظ ولم يستوف الاحتجاج والشواهد التي تدعم ما ذكروه من ألفاظ الأضداد في مصنفاتهم ، بينما ابن الأنباري في مصنفه وعلى حد قوله فقد تلافى كل هذه الهنَات التي وقع فيها سابقوه من واضعي المصنفات في الأضداد فلقد جمع موادها وأحصاها وكان أكثر موضوعية من سابقيه ، فقد ناقش في متن كتابه كثيراً من الأضداد التي ذكرها راداً بعضها وشاكاً في البعض الآخر وناصًّا على عدم ضدية القسم الثالث . ومن بين الشروط التي وضعها ابن الأنباري للتعرف على ضدية اللفظ قوله : " ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله ، كقولك : حمل لولد الضأن من الشاة ، وحمل اسم رجل ، ولا يعرف أحد المعنيين إلا بما وصفنا "[٧٥] . ويفسر ابن الأنباري ما ذكره من قبل بقوله : " إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد "[٧٦] ، ثم يضرب

لذلـك الأمثلة ويسوق الشواهد الشعرية والقرآنية ويعلق عليها ويبين أن سياق اللفظة هو الذي يحدد المعنى ويفرده عما سواه ويخصصه للسامع . وهو بهذا يعتبر أول من فسَّـر التضـاد بالسياق ، فانفتح لكثير من الباحثين المحدثين الغربيين والعرب هذا الباب ، فراحوا يفسرون المشترك بالسياق أيضاً ، وأيدوا هذه الفكرة بالأضداد .

فلقـد رأى ابـن الأنـباري أن الأضـداد " هذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب " (٧٧) ، معتبراً هذا الضرب من الألفاظ هو أحد الأضرب الـثلاثة لألفاظ العربية ، إذ أن "أكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين : أحدهما أن يقـع اللفظـان المختلفان على المعنيين المختلفين ، كقولك : الرجل والمرأة والجمل والـناقة ، والـيوم والليلة ...والضرب الآخر أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحـد كقولـك : البُر والحُنطة ، والعير والحمار ، والذئب والسّيد "(٧٨). وهو بهذا التقسيم ينحو منحى سيبويه ويفيد منه ، لأن سيبويه في كتابه (الكتاب) هو أول من قسم لغة العرب أقسامها الثلاثة (٧٩)، التي أخذها عنه من جاء بعده من المعنيين باللغة والأضـداد والمشترك خاصة وصدروا بها كتبهم ومصنفاتهم ، وابن الأنباري واحد منهم .

ووفقـاً للشـروط التي وضعها ابن الأنباري للأضداد أخذ يمحص ما جاء عن سابقيه فأخرج من الأضداد ما كان تضاده بين (فَعَل وأفْعَلَ) (٨٠). واستبعد أيضاً ما كـان تضـاده بين (فَعّل وفعّل(٨١)، واستبعد كذلك ما كان تضاده بين (فَعّل وفَعِل ومَفْعول وفَعِيل)(٨٢). وأخرج ماكان تضاده بيـن (فاعِل ومفْعول)(٨٣). وأخرج ما كـان تضاده بين (الاسم والفعل) (٨٤) هذه شروط ابن الأنباري من ناحية اللفظ أو الشكل ، وذلك بأن يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين وكل منهما على وزن واحد وصيغة متشابهة، إلا فلا يجوز الحكم على ما شذّ عن ذلك بالتضاد. أما من ناحية المعاني أو المضامين فقد أرجع ابن الأنباري معنيي بعض الأضداد إلى أصل واحد (٨٥)، ومن ذلك لفظ (الطَّرب) :للفرح والحزن . يقول ابن أبي السرور : " ومنه قولهم : حصل لفلان الطرب ، يخصونه (بحركة) الفرح ، وهو يُطلق على (حـركة) الحزن أيضاً " (٨٦)، فهو إذن مطلق الحركة ، ولذا قال ابن الأنباري في

تعليقه على هذه المادة : " لأن الطرب ليسهو الفرح ولا الحزن ، وإنما هو خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه، فيقال قد طرب إذا استخف "[٨٧] .وهذه الخفة التي تلحقالإنسان في وقت فرحه وحزنه ، فيقال قد طرب إذا استخف "[٨٨] . وهذه الخفة التي تلحق الإنسان هي الحركة ، وهي الدلالة العامة ، قبل أن تتخصص في الفرح أو الحزن ، فتكاد تكون دلالتها على الحزن منقرضة . ومما سبق يتضح لنا أن صورة الأضداد منقرضة في ذهنه كانت واضحة ، وإن لم تتحقق كل التحقق في كتابه وذلك لأن ابن الأنباري قد أهمل النظر في أضداد كثيرة حفل بها كتابه وتخلى عن تطبيق شروطه في مواضع كان يجب عليه الأخذ بهذه الشروط . ولذلك فنحن نتساءل : إذا كان ابن الأنباري قد وضع الضوابط والشروط للتضاد فلماذا جاء كتابه لا يخلو من الاصطناع والتكلف والبعد في التفسير ؟ ! ، فلقد حفل كتابه بطائفة كبيرة من الألفاظ التي ألصقت بالأضداد ، ولا تتوفر فيها فكرة التضاد بوجه من الوجوه ، مما يدل " على أن الذين تصدوا لجمع الأضداد اندفعوا في هذا السبيل اندفاعاً عجيباً، فصاروا يتلمسون هذه المادة في ضروب من التأويل و التفسير ، والنظر الصحيح لا يمكن أن يُثبت ذلك " [٨٩] . فأي تضاد حقيقي مثلاً في (إذْ و إذا) الأولى للماضي والثانية للمستقبل [٩٠] . و (إنْ) للنفي و الشرط [٩١]. و (حايْ حايْ) لزجر الغنم ودعوتها [٩٢] . و (لا) للجحد والإثبات [٩٣] . و (ما) اسماً و حرفاً [٩٤] . و(هل) للاستفهام وبمعنى قد [٩٥]. وغير ذلك مما يُتَوصّل إليه إلا التكلف الشديد والإلصاق المتعمد الضعيف . ثم ما وجه الخلاف في الدلالة اللغوية ، واللغة سماع ونقل ، يقول ابن الأنباري في مادة (الناهل) : " ويقال : رجلٌ مُنْهِلٌ إذا كانت إبله عطاشاً ، كما يقال : رَجلٌ مُنْعطِشٌ .و رجلٌ مُنْهِلٌ على القياس إذا كانت إبله رواء "[٩٦] . والظاهر أنه بهذا متأثر بالنظرة البصرية للغة ، وقد عرفنا أنه نقل عن سابقيه سواء من البصريين او من الكوفيين كثيرا من الاراء ووجهات النظر في الكتاب . ونحن نعلم أن القياس خصيصه من خصائص مدرسة البصرة ، ومع ذلك فلا يُقبل من البصريين أنفسهم أن يقيسوا في دلالة الألفاظ وفي مباحث الأضداد ، فضلاً عن أن

ابن الأنباري كوفي لا يأخذ بالقياس ويؤمن بالنقل والرواية في اللغة ويدرسها واصفاً مستقرياً لا متكلفاً مفتعلاً .

ويبدو أن الرغبة والاندفاع عند ابن الأنباري شأنه في ذلك شأن الذين تصدوا لجمع الأضداد جعلتهم ينساقون في هذا السبيل باندفاع عجيب ، فصاروا يتلمسونها في مضروب الدواوين والتفاسير ، فجمعوا فيها كثيراً مما ليس في سبيل الأضداد . وبالرغم من ذلك يظل كتاب (الأضداد) لأبن الأنباري من أجلّ ما أُلّف في هذا الموضوع ، ويُعد من أكمل المحاولات الجادةلدراسة هذه الظاهرة ، بما اشتمل عليه من استيعاب واستقراء ودقة في أكثر الأحيان . وكان وما يزال المصدر الرئيسي الذي يُرجع إليه في هذا الباب من اللغة ، فقد نقل القدماء عنه كثيراً واستشهدوا بآراء المؤلف فيه في كل مصنفاتهم ومعجماتهم اللغوية ، بدءً من تلاميذ ابن الأنباري نفسه وانتهاءً بالبغدادي صاحب خزانة الأدب [٩٧] ، كما رجع إليه الباحثون المحدثون في دراساتهم القيمة عن الأضداد وعدّوه أنضج الدراسات القديمة في هذا الموضوع وأشهرها جميعاً .

(ب) دواعي نشأة الأضداد عند ابن الأنباري :

لو كان لنا أن ننطلق في دراسة الأضداد والوقوف على حقيقتها في اللغة في ضوء المفهوم النظري لمصطلح الأضداد الذي أشار إليه ابن الأنباري في كتابه ، لو أخذنا بهذا التحديد الدقيق وحاولنا تطبيقه على مجموع الأضداد تطبيقاً بعيداً عن الغلو لتضاءل عدد هذه الألفاظ حتى لا يبقى منها إلا الشيء القليل الذي يعبر عن آثار المراحل التاريخية التي مرت بها اللغة . فنحن نعتقد أن التضاد ليس أصيلاً في الوضع ، وإنما دعت إلى وجوده في اللغة دواع مختلفة سنعرض لها في هذا المبحث ، وذلك لأن فكرته تقوم على ما ينافي الفطرة ويخالف الطبيعة اللتين يفترض أن اللغة صدرت عنهما فكانت صدى لهما ، لأن اللغة قائمة على الوفاء بحاجة الناطق إلى الكلام ، والتفاهم بوسطتها مع الآخرين ، فلا يعقل بعد هذا أن يكون التفاهم مضطرباً مشوشاً بسب وجود الأضداد التي ينصرف كل منها إلى معنيين متضادين لا يعرف السامع أيهما عنى المتكلم وقصد إليه ، وهذا ما ذهب إليه

الشعوبيون ، حيث يقول ابن الأنباري : " ويظن أهل البدع والزَيغ والإزراء بالعرب، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه ، ومُوضِحٌ تأويله ، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى " (٩٨) . وهذا بعيد عن واقع الحال ، إذ المفروض في الضد لكي يصح وصفه بصفة التضاد أن يكون ضداً مستعملاً في الزمان الواحد والبيئة اللغوية الواحدة وإلا فلا غرابة أن يحصل التضاد لو انعدم هذان الشرطان بأن تمرّ اللفظة ذات المعنى الواحد بظروف معينة إلى أن تصبح من ألفاظ التضاد ، أو أن تكون هذه اللفظة عند أهل بيئة لغوية تعنى معنى وعند البيئة الأخرى تعنى معنى مضاداً وهو ما ندعوه باختلاف اللهجات، فوحدة الزمان والبيئة إذا تحققت وكانت اللفظة منصرفة إلى المتضادين جاز أن تعد بحق من الأضداد ، مع ملاحظة جملة ظروف ودواع متعددة تعتبر هي الأخرى من عوامل وجود الأضداد . ولقد فطن إليها ابن الأنباري وأشار إليها وإلى دورها في نشأة الأضداد ، وسوف نفصّل حديثه عنها في المبحث فيما يلي :

*** رأي ابن الأنباري في دور اللهجات في نشأة الأضداد :**

إن اللغة تتشعب بفعل عوامل معينة إلى لهجات قد تكثر حتى تصل إلى العشرات ، إلا أن علماءنا القدامى كانوا يصطلحون على اللهجة باللغة أو اللحن ، كقولهم مثلاً : " الشَّعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأضداد وإنما هي لغة قوم "(٩٩) أي لهجة قوم ، وكقولهم : " العَرم : المُسَنّاة بلحن اليمن " (١٠٠) . أي بلهجة اليمن . ولكنهم اصطلحوا على اللغة باللسان يدل على هذا مجيء اللفظة ثماني مرات في القرآن الكريم منصرفة إلى معنى اللغة(١٠١)واللهجة من حيث هي سلوك لغوي لا تختلف عن اللغة الأم ، لأنها في الاصطلاح العلمي الحديث مجموعة من صفات لغوية تخص بيئة واحدة ، ويشترك جميع أفراد هذه البيئة بتلك الصفات . وتختلف البيئات اللغوية الواحدة عن الأخرى بصفات لهجاتها وظواهرها اللغوية الخاصة ، إلا أنه تنتمي جميعاً إلى لغة عامة مشتركة تنتظم جميع هذه الظواهر

فتيسر اتصال أفراد البيئات فيما بينهم ، وفهم ما يدور من كلام فهماً يتفاوت مقداره حسب قوة الرابطة التي تربط بين اللهجتين [١٠٢] . والظاهر أن الانعزال كان أهم العوامل في نشوء اللهجات العربية القديمة قبل الإسلام ، إذ كانت طبيعة الجزيرة العربية الصحراوية تفرض على الجماعات أن تنعزل في أماكن يتوافر فيها الماء والكلأ ، وهي مواضع متباعدة منتشرة في أطراف الصحراء ، تعسِّر الاتصال المستمر بين هذه الجماعات ، فلا تلبث لغاتهم أن تستقل بمرور الزمن على شكل لهجات ، تتميز بصفات خاصة يفرضها هذا الانعزال اللغوي .

فاللهجات العربية استقلت بعض الشيء بخصائص لغوية متميزة ، إلا أنها تنضوي جميعاً تحت خصائص عامة في اللغة الأم ، لأنه حين تمسكت القبائل بلهجاتها الخاصة في الحديث العادي وفي التخاطب وفي المعاملات ، كانت تلجأ في أحايين كثيرة إلى تلك اللغة الأم التي نشأت في مكة ، إذا أرادت أن تنظم أو تخطب ، لأنهم يرون أن التمسك بلهجاتهم غير مستساغ في مثل هذا المجال ، فهم يدخرون التكلم بلهجاتهم لبيئاتهم بعد عودتهم إليها [١٠٣] . ومع ذلك فلا يمكننا أن ندعي أن جميع خصائص لهجاتهم اللغوية كانت متروية انزواءً تاماً في أشعارهم وخطبهم ، بل على العكس فقد كشفت لنا هذه النصوص بعد تدوينها عن كثير من تكلم الخصائص بشكل واضح ، خصوصاً بعد أن مالت هذه اللهجات للتوحد بعد الإسلام ، وما ترتب على ذلك من اقترابها من النص القرآني القدس .

وما هذه الإشارات الواردة في ثنايا كتب اللغة حول استعمالات القبائل ومفرداتها واختلافاتها في الدلالة ، إلا من بقايا تلك الحقبة من تاريخ اللغة حين لم تتوحد بعد تحت ظل الإسلام ، فالمتصفح لكتب اللغة يعثر على كثير من الألفاظ معناه في القبيلة الفلانية كذا وهو خلاف الشائع ، أو معناه عند تلك القبيلة هكذا وهو الأشهر ، وأشباه ذلك من الإشارات [١٠٤] .

والأضداد من تلك الظواهر التي خلفها لنا اختلاف اللهجات الذي أشرنا إليه، وذلك بأن تكون اللفظة بمعنى في لهجة عربية وبمعنى مضاد في لهجة أخرى ، واجتمع المعنيان في اللفظة بعد توحد اللغة وتدوين مفرداتها ومعانيها في معجمات

الألفـاظ الأولـى ، وإذا كان المر كذلك فليست هذه الألفاظ من الأضداد لأن شرط الأضـداد أن يكون استعمالها في المعنيين المتضادين في لهجة واحدة حيث يستعمل أفـراد هـذه اللهجـة الأضداد في كلامهم فيحصل اللبس في فهم المعنى فيما بينهم وتكـون الغرابة بعدئذ من وجود هذه الألفاظ التي تورث الاضطراب والفوضى في دلالة الألفاظ ، أما إذا كان التميميون جميعاً يستعملون (السُّدْفَة) بمعنى الظلمة فلا يمكـن أن تسمى هذه اللفظة من الأضداد بحجة القيسيين يستعملونها بمعنى الضوء ، لأن لغـة هؤلاء غير لغة أولئك ، وكل قبيلة منها قد تعارفت فيما بينها على معنى واحـد تنصرف إليه اللفظة في الاستعمال فلا يحصل في كلامها لبس ولا غموض ، لأن اللفظـة عـندها ليست من الأضداد ، وبديهي أن تكون اللفظة عندها ليست من الأضداد، في معجمات اللغويين بعد أن يجتمع هذا المعنى بذلك وتدوَّن اللفظة على أنهـا منصرفة إلى المعنيين ، ولكن ذلك في المعجم فقط لا في لغة التخاطب ، لأن العرب بعد أن توحدت لغتهم ونشأ منهم جيل يتكلم هذه اللغة الموحدة وقفوا من هذه الألفـاظ موقفيـن تلقائيين : الأول أنهم أماتوا قسماً كبيراً منها فزالت من الاستعمال وذلـك لعـدم حاجتهم إلى معانيها ، والثاني أنهم استعملوا القسم الآخر منها بأشهر المعنيين المتضادين وخصصوه في الاستعمال . أضف إلى ذلك أن الجيل الجديد علم أن اللفظـة انصـرفت انصرافاً مضاداً بفعل توحد اللغة ، فلم يكثر استعمالها ، وقل ورودهـا فـي نصوصه الأدبية بشكل واضح . ويبين ابن الأنباري هذه الفكرة في مقدمة كتابه فقال : " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعـه علـيهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب ، والمعنى الآخر لحى غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هـؤلاء ، قالوا : فالجَوْن الأبيض في لغة حي من العرب ، والجَوْن الأسود في لغة حي آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر " (١٠٥) ، وينقل ابن الأنباري لتأييد ذلك آراء ثعلب والفراء والكسائي في اللغات التي اعتورت (حَسِب يحسِب) و (فَضِل يَفْضَل) و (مـتّ و أمُوت) وغيرها ، وكيف تداخلت هذه اللغات فيما بينها فكان لكل ماض منها صورتان ولكل مضارع منها صورتان أيضاً .

ولقد أرجع ابن الأنباري إلى اختلاف لهجات القبائل كثيراً من الاختلاف في مدلول اللفظ مثل قوله في (المعْصِر) وقد نقله عن قطرب : " فهو في لغة قيس وأسد : التي دنت من الحيض ، وهو في لغة الأزد : التي ولَدَت أو تَعَنَّسَت " (١٠٦) ، وقوله في (وَثَب) يقال : وثب الرجل إذا نهض وطفر من موضع إلى موضع ، وحمير تقول : وثب الرجل إذا قَعَد " (١٠٧) ، وقوله في (السُّدْفَة) : " بنو تميم يذهبون إلى أنها الظلمة ، وقيس يذهبون إلى أنها الضوء " (١٠٨) . وقوله في (الحائب) : المتندِّم والقائل ، والأخير في لغة بني أسد (١٠٩) . وكذلك (عيّن) : للخلف والجديد ، والأخير في لغة طيء(١١٠) . و(المقْوَرّ) : للمهزول والسمين ، والأخير في لغة الهلاليين (١١١) . و(القَلْت) النقرة الكبيرة عند أهل الحجاز والنقرة الصغيرة عند تميم وقيس وأسد (١١٢) . و(العَريض) : الصغير والجذع من ولد الشاة ، والثاني لبني تميم (١١٣). و(لمأرْج): لعدم الرجاء وعدم المبالاة ، والخير بلغات كنانة وخزاعة ونضر وهذيل (١١٤) .

رأي ابن الأنباري في ظاهرة التداخل على جهة الاتساع ودورها في نشأة الأضداد:

إن اللفظة العربية تحيا حياة متجددة متغيرة ، شأنها شأن اللفظة في جميع اللغات الإنسانية الحَيّة ذلك أن اللغة باعتبارها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لابد لها من أن تخضع لما يطرأ على المجتمع من تغير في عقليته وثقافته ووسائل إنتاجه المختلفة ، سالكه في ذلك سبلاً عديدة اختلف الدارسون في تحديدها وفي مدى قبولها لنتائجها . وسُنَّة التغير شملت دلالة مجموعة من الألفاظ متجهة بها في اتجاهين متقابلين ، فخلقت منها أضداداً تنصرف الواحدة منها إلى المعنى وضده في الظاهر ، فتكون اللفظة من هذه الطائفة ذات دلالة قديمة عامة تشمل المعنيين المتضادين ، بحيث يصح أن يكون كل منهما دلالة تلك اللفظة ومعناها القديم ، وهذا الذي سماه ابن الأنباري بالتداخل على جهة الاتساع (١١٥) . إلا أن علماء الأصول كانوا يصطلحون أحياناً على مثل هذه الألفاظ (بالمشترك المعنوي) مفرقين بينها وبين ألفاظ المشترك اللفظي التي صرحوا باستحالة العمل بمقتضاها لعدم العلم بها (١١٦) .

وعلى هذا فالأضداد التي تندرج تحت هذا العنوان ، والتي يمكن أن يستشعر فيها التغير الدلالي بسهولة ، على طائفتين : الأولى هي الألفاظ التي كان لها مدلول عام تغير على جهة التخصص إلى مدلولين متضادين . والثانية هي الألفاظ التي تغيرت مدلولاتها وانتقلت إلى آخر لعلاقة مكانية أو سببية بين مدلولين فكانت من الأضداد . ومن أمثلة الطائفة الأولى والتي وردت عند ابن الأنباري : " القُرْء حرف من الأضداد . يقال : القُرْءُ الطهر ، وهو مذهب أهل الحجاز ، والقُرْءُ للحيض ، وهو مذهب أهل العراق . ويقال في جمعة : أقراء وقروء "[١١٧]. والظاهر أن المدلول للفظة هو (الوقت) كما صرح بذلك أبو عمرو بن العلاء فقال : " إنما القرء الوقت فقد يجوز أن يكون وقتاًللطهر ووقتاً للحيض ، وأقرأت الرياح هبّت لوقتها ، والقارئ الوقت ، وقال مالك بن الحارث الهذلي :

كرهتُ العَقْر عَقْر بَن شَلَيلٍ إذا هبَّت لقارئها الرّياحُ

وأنشد أبو عمرو هذا البيت ، أي هبَّت الرياح لوقتها في الشتاء "[١١٨] ويبدو من كلام أبي عمرو أنه لا يرى اعتبار اللفظة من الأضداد ، وذلك لتأكيده معنى الوقت فيها ، بحيث أدى شمول هذا المدلول إلى أن يصدق على طهر المرأة وحيضها ، لأن كليهما وقت معتاد تعرفه هي . فتخصص عند فقهاء العراق بمعنى الحيض وعند فقهاء الحجاز بمعنى الطهر ، وغاب هذا المعنى العام عنهم جميعاً ، فبنوا أحكامهم المختلفة تبعاً لاختلاف الدلالتين الخاصتين كما هو مفصّل في كتبهم ، وتبعهم في ذلك الأضداديون ، ولقد سار ابن الأنباري سيرتهم في أنه لا يعتبر هذه اللفظة من الأضداد لعلتين الأولى أنها جاءت من قبيل التداخل على جهة الاتساع ، والثانية أن كل دلالة خاصة بأهل الحجاز والأخرى لأهل العراق .

وأشار ابن الأنباري في إطار حديثه عن هذه الظاهرة إلى(الصّريم) لليل والنهار ، يقول " فمن ذلك : الصّريم ، يقال لليل صريم ، وللنهار صريم ، لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع "[١١٩]. فعلى هذا تكون الدلالة قد تخصصت بالليل مرة والنهار مرة أخرى ، لأن كلا منهم ينقطع عن صاحبه ، فيصح على كلا المنقطعين أن يقال

(صَريم) وبهذا الشكل من النظر نستطيع معرفة منشأ التضاد في هذه اللفظة ، وهو منشأ ولّده تغير الدلالة عن طريق التخصص .

وتحدّث ابن الأنباري أيضاً عن (السُّدْفَة) : للضوء والظلمة فقال إنها : " حرف من الأضداد . يذهبون إلى أنها الضوء " [١٢٠] ، فالمعنيان من جهة لغتان لقبيلتين ، ومن جهة أخرى يرجعان إلى معنى عام هو اختلاط الضوء والظلمة ، ثم تحدد معناها وتخصص عند القبيلتين ، لأن المدلول الأول كان يشمل المعنيين المتضادين . ثم بفعل تغير الدلالة عن طريق انتقال مجالها صارت السُّدفة تعني الباب أي السترة التي على الباب ، وذلك لأنهما يمنعان شدة الضوء ويشفان عنه ، فيكون من الداخل حال بين الضوء والظلمة [١٢١] ثم اُستُعْمِلَ منه الفعل (أسْدِفْ) أي تَنَحّ عن الضوء ، تقال للواقف على الباب يسدّ النور الداخل منها إلى البيت المظلم ، تقال له لكي يدخل ضوء فتكون سُدْفَة . ومما يؤكد أن المدلول الأول كان يعني اختلاط الضوء بالظلمة أنهم كانوا يطلقون السدفة على الفجر لاختلاط بقايا ظلام الليل بأول ضوء الصبح كما نقل ذلك ابن الأنباري ، " قال ا لشاعر:

قد أسدف الليل وصاح الخِنْزابْ

والخِنْزاب هو الديك ، وهو يصيح في الفجر حين يسدف الليل ويختلط ظلامه بضوء النهار [١٢٢] ، وقال ابن مقبل :

وليلةٍ قد جعلتُ الصُّبْحَ مَوْعِدَها بِصُدرةٍ العَنْس حتى تَعْرِفَ السُّدَفا [١٢٣]

وقال ابن الأنباري في تفسيره للبيت السابق : " العنس : الناقة . ومعنى البيت أني كلفت هذه الناقة السير إلى أن يبدو الضوء وتره " [١٢٤] . وهو أمر لا يتحقق إلا فجراً . وهكذا نجد أن معنيي الظلمة والضوء ماهما إلا نصفا المعنى الشامل ، بافتراقهما يكون التضاد الذي وجدناه في (السدفة) [١٢٥].

ومن أضداد الطائفة الثانية التي قلنا إنها طرأ عليها تغير فتغير مجال دلالتها ، وانتقلت إلى ما يوحي بان المعنى الجديد ضد المعنى الأول ، ومن أمثلتها :

(الظَّعينة) : للهودج وللمرأة [١٢٦] وكان إطلاق الظعينة أصلاً على الهودج ثم انتقلت الدلالة إلى المرأة التي في الهودج للعلاقة المكانية بين الاثنين ، ثم على كل

المرأة وإن كانت في بيئتها لتشابه جنس المرأتين . وقد أشار إلى هذا غير واحد من القدماء ، كابن الأنباري الذي قال " الظّعينة ؛ المرأة في الهودج ، وقد يقال للمرأة وهي في بيئتها ظعينة ، والأصل ذاك " [١٢٧] يعني الهودج ، ووضحه ابن دريد بقوله : " ولا تسمى المرأة ظعينة حتى تكون في هودج ، ثم كثر ذلك في كلامهم حتى لزم المرأة اسم الظعينة " [١٢٨] .

(الكأس) للإناء وللشراب الذي فيه [١٢٩] . والأصل في المعنى (الزجاجة المملوءة) ثم انتقل في الاستعمال إلى السائل الذي فيها ، وهذا التغير واضح الترابط والعلاقة ، يقول الفراء : " الكأس الإناء بما فيه ، فإذا شُرب الذي فيه لم يُقل له كأس، بل يُرد إلى اسمه الذي هو اسمه من الآنية " [١٣٠] . ويقول الثعالبي : " لا يُقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة "[١٣١]. ولهذا عبّر ابن الأنباري في صدر كلامه على هذه المادة بأنها (من الحروف المشبهة للأضداد) فكأنه حين عرف منشأ هذا التجوّز في تسمية الشراب ب (الكأس) شك بضدية اللفظة .

(الرَّهْو) : للارتفاع والانخفاض[١٣٢] . وفي الحقيقة أن كلا من المعنيين مرتبط بالآخر ارتباطاً سببياً ومكانياً ، ذلك أنهم استشهدوا على كل منهما بما يدل على أن الأمرين حاصلان معاً ، فقرب كل انخفاض ارتفاع وقرب كل ارتفاع انخفاض ، فكل واحد من المعنيين وُلِد في الاستعمال عن الآخر ومنتقل إليه ، ومما يؤكد ذلك استعمال الرهو بمعنى الفجوة بين مكانين ، وقد نقل عن الأصمعي أنه قال: " مَرَّ فالجٌ بأعرابي فقال : سبحان الله ، رَهوٌ بين سنامين "[١٣٣]. فلا تكون هناك فجوة بين مكانين ما لم يكن هناك ارتفاع على جانبيها ، فانتقال مجال الدلالة واضح في هذه المسألة ، ولعل معنى الفجوة متطور أيضاً عن معنى (الفضاء) فقد ذكر ابن دريد أن : " الرّهاء : الفضاء من الأرض "[١٣٤] . فمن معنى الفضاء انتقل إلى معنى الفجوة بين مكانين أو ارتفاعين ، ومن مشاهدة الانحدار من أحد الارتفاعين الذي يستتبعه الصعود في الارتفاع المقابل ، صارت اللفظة تعني الانحدار على حدة والارتفاع على حدة . وبمثل هذا التفسير ينبغي أن تفسّر (التلعة) لما ارتفع من الوادي ولما انخفض[١٣٥] و(فرّع) إذا صعد وإذا انحدر[١٣٦] ، و (نزلت في الجبل)

علوت واتحدرت [١٣٧] ، (الشرف) للارتفاع والانحدار [١٣٨] . فهي جميعاً من هذا القبيل [١٣٩] .

*رأي ابن الأنباري في دور العوامل النفسية في نشأة الأضداد :

أشار القدماء إلى فكرة الحمل على النقيض في اللغة وعرضوا لأمثلة من ذلك ، ويبدو أن أول أولئك القدماء الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وإن كنا لا نملك له نصاً يؤيد دعوانا ، وإنما استشعرنا ذلك من تعرض لتلميذيه الكسائي و سيبويه إلى هذه الفكرة في مباحثهما اللغوية ، ونحن نفترض أنهما أفادا ذلك من الخليل ، وذلك لتأثرهما معاً بهذه الفكرة وصدورهما عنها . فالكسائي علق على تعدية الفعل (رضى) بحرف الجر (على) في بيت القحيف العقيلي :

إذا رَضِيَت عليَّ بنو قُشَيرٍ لعمرُ الله أعجبني رِضا

بقوله : " حمله على ضدّه ، وهو سَخِطت ، لأن العرب قد تحمل الشيء على ضده كما تحمله على نظيره " [١٤٠] ، ونقل عن ابي علي الفارسي أنه استحسن قول الكسائي هذا في تخريج الاستعمال ، وقال السيوطي : " وقد سلك سيبويه هذه الطريق في المصادر كثيراً ، فقال : قالوا كذا وأحدهما ضد الآخر [١٤١] . وإن كانت إشارة الكسائي أكثر وضوحاً من محاولة سيبويه تفسير صيغ المصادر التي لم تجيء على القاعدة بالحمل على صيغ أضدادها في المعنى .

إن هذا الاستعداد النفسي للحمل على النقيض وإن حدث عفوياً في ذهن الإنسان فإنما يخلقه في اللاشعور اعتبارات اجتماعية ينشأ المتكلم بين ظهرانيها ويترعرع على تشربها وتمثلها حتى تكون فيه بديهة في التفكير وسجية في الأخلاق ، وتتبلور هذه السجايا الاجتماعية فيه فتتخذ شكل الغريزة التي ترافقه في نشاطاته الفكرية ومزاولاته المنطقية [١٤٢] ، فإذا أراد مثلاً أن يعبر عن معنى سيّئ تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة به وفرّ منها إلى غيرها . وأفضل المعاني التي ينبغي أن يفر إليها هي أضداد المعاني الأول ، فيستعملها تفاؤلاً بالخلاص من ذلك السوء ، فكانت الألفاظ الخاصة بالموت والمرض والمصيبة والكارثة هي من الأضداد بسبب نزعة

المتكلم إلى التفاؤل بالخلاص من هذه الأمور وكراهية ذكر الألفاظ الأصلية التي تعبر عن هذه الألفاظ الأصلية التي تعبر عن هذه المعاني تشاؤماً من هذا الذكر وابتعاداً عنه . وقديماً تطير العرب من اللون الأسود فعُبِّرَ عنه بالأبيض في أحاديين كثيرة [١٤٣] . ومثل ما يقال في نوازع التفاؤل والتشاؤم والتأدب والتطيرّ يقال في التهكم والاستهزاء ، وواضح أنها جميعاً مشاعر مرتبطة الواحدة منها بالأخرى ارتباطاً وثيقاً في نفس الإنسان التي غذّتها الاعتبارات الاجتماعية السائدة بمفاهيمها المختلفة ، حتى إن هذه المشاعر كثيراً ما تتداخل فيما بينها ويكتنفها اللبس ، فيصعب على الدارس تحديد إحداها في تفسير ضد من الأضداد ، إذ قد يكون تضاد لفظة بسبب عامل التهكم ، لأن الظروف الاجتماعية التي مهدت لهذه اللفظة أن تسلك هذه الطريق متنوعة ومتعددة بحيث يكون من المتعذر أحياناً تعيين الدافع بدقة .

ولقد ورد عند ابن الأنباري في كتابه (الأضداد) ألفاظ أشار بصدد حديثه عنها إلى عوامل التفاؤل والتطير والاستهزاء والخوف من العين في نشأة الضد لهذه الألفاظ ، ونستطيع أن نحصى من هذه المجموعة عدداً ينظم في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويشمل الألفاظ التي يمكن أن تُفَسَّر بالخوف من العين ، ومنها :

- (امرأة بلهاء) : إذا كانت ناقصة العقل وإذا كانت كاملة العقل [١٤٤] . فكأنهم خافوا على كاملة العقل من أن تصاب بالعين فلجأوا إلى درء ذلك بتسميتها بالبلهاء .
- (فَرسٌ شَوهاء) : إذا كانت جميلة وإذا كانت قبيحة [١٤٥] . قال أبو حاتم السجستاني: " لا أظنهم قالوا للجميلة شوهاء إلا مخافة أن تصيبها عين ، كما قالوا للغراب أعور لحدّة بصره " [١٤٦] .
- (الأعور) : للذاهبة أحد عينيه وللصحيح العينين حديد البصر بهما[١٤٧] .

أما عن القسم الثاني : ويشمل الألفاظ التي تُفَسَّر بالتطير والتشاؤم ومنها :

- (السَّليم) للسليم واللديغ [١٤٨] . ونقل لبن الأنباري عن الأصمعي وأبي عبيد أنه : " إنما سُمي الملدوغ سليماً على جهة التفاؤل بالسلامة " [١٤٩]، على أن ثعلباً نقل عن ابن الأعرابي وسلمة والفراء أنه إنما قيل (سليم) لأنه أسلم لما به ، وقد نسب الفراء هذا إلى بني أسد من قبائل العرب[١٥٠] .

- (المَفازَة) للمنجاة والمهلكة [١٥١] وقال ابن الأنباري : " قال الأصمعي وأبو عبيد وغيرهما: سُميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز " [١٥٢] ، وإلى مثل هذا التفسير ذهب ابن قتيبة وثعلب [١٥٣] ، وسائر الأضداديين ، غير أن ابن الأعرابي ذهب إلى اعتبار التسمية على الأصل ، يقول ابن الأنباري : " وقال ابن الأعرابي : إنما قيل للمهلكة مفازة ، لأن من دخلها هلك ، من قول العرب : قد فوَّز الرجل إذا مات " [١٥٤] ولكن ابن الأعرابي توهم فيما ذهب إليه ، لأن اشتقاق الفعل (فوَّز) من المفازة وانصرافه إلى معنى الموت قد تأخر عن التسمية الأولى والانصراف الأول ، فبعد أن شاعت تسمية المهلكة بالمفازة شاع أيضاً تبعاً لذلك انصراف (فوَّز) إلى معنى هلك ، وبهذا المعنى استعملها كعب بن زهير في قوله (..وفوّز جَرولُ) [١٥٥] .

- (النّاهِل) : للراوي والعطشان [١٥٦] . يقول ابن الأنباري : " وإنما قيل للعطشان ناهل تفاؤلاً بالري [١٥٧] .

- (العَقوق) : للحامل والحائل[١٥٨] . قال أبو حاتم السجستاني : " أظن هذا من التفاؤل كأنهم أرادوا أنها ستحمل إن شاء الله " [١٥٩] .

- (المَطْبُوب) : للمسحور وللمُعَالج من السحر [١٦٠] . قال الزمخشري : " إنه قيل للمسحور مطبوب على سبيل التفاؤل ، كما قيل للديغ سليم ، أي أنه يُطب ويعالج فيبرأ " [١٦١] .- (المَسْجُور) : للملآن والفارغ [١٦٢] . ذهب إلى ذلك ابن الأنباري ، كما ذكر أبو حاتم السجستاني : " يمكن أن يكون هذا على التفاؤل ، كما يقال للعطشان ريّان وللملدوغ السليم"[١٦٣].

أما القسم الثالث ويشمل الألفاظ التي تُفَسَّر بالتهكم والاستهزاء ، فمنها :

- (مَرحَباً بفلان) : إذا أريد قربه وإذا لم يرد[١٦٤] . وقدّ صدر ابن الأنباري كلامه على هذه المادة بقوله : " ومما يشبه الأضداد قولهم في الاستهزاء ..." [١٦٥] .

- (يا عاقِل) : للعاقل وللجاهل [١٦٦] . قال ابن الأنباري : " ومما يشبه الأضداد أيضاً قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل إذا استهزءوا به : " يا عاقل " [١٦٧] .

- قوله تعالى : " ذُقْ إنَّكَ أنت العَزيزُ الكريم " [١٦٨] .

- قوله تعالى : " إنك لأنت الحليم الرشيد " [١٦٩] .

- (الأسْوَد) : للدّرهم الأبْيَض [١٧٠] .

نخلـص من ذلك إلى أن هذه الأنواع من التعبير ليست من الأضداد في شيء ، ذلك أن المتفائل مثلاً يريد من إطلاق (السَّليم) على الملدوغ أن يوهم نفسه وسامعه ـ دون وعـي ـ بحقـيقة معنى اللفظ لا ضده ، لأنه يرغب في أن يُبعد عن نفسه صورة الملدوغ المتألم ، ويقرّب صورة السليم المعاني ، فيتفاءل بهذه التسمية بسلامة الملدوغ وعافيته ، وكذلك سائر أضداد التفاؤل . والتشاؤم . وشبيه بهذا ما نقوله في المـتهكم المسـتهزئ الذي يصف الجاهل بالعاقل مثلاً ، فهو لم يصفه بحقيقته وهي الجهـل ،بل أراد وصفه بالعقل ، لأنه لم يرد أن يتصور السامع من قوله (يا عاقل) إنساناً جاهلاً ، بل أراد أن تتكون صورة إنسان عاقل في الذهن ، لأن استحضار هذه الصورة و تطبيقها على الإنسان الجاهل الذي أطلقت عليه اللفظة ،هو ما يقصد إليه المسـتهزئ ، فمن المفارقة بين الصورتين تتم فكرة التهكم و الاستهزاء و الضحك ،ولـو كان العكس أي أنه لو أراد معنى الجاهل في (يا عاقل) لانطبقت الصورتان ولما تمت المفارقة التي هي أساس السخرية [١٧١] .و نحن حين نقول إن المتكلم أراد كـذا ولـم يرد كذا لا نعني أنه كان يتحرى هذه المفارقة تحرياً مستقلاً عن بديهته ويخطـط للاستهزاء ويرسم له حدوده بعيداً عن فطرته ، وإنما كان يتم كل ذلك في ذهنه بسرعة و بشكل عفوي و تلقائي .

*** السياق عند ابن الأنباري ودوره في نشأة الأضداد :**

تحدث ابن الأنباري في مقدمة كتابه عن تفنيد إشكالية الالتباس الذي يحصل مـن جـراء انصـراف اللفظة إلى المعنيين المتضادين ، فيقول : " إن كلام العرب يصـحح بعضـه بعضـاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنهـا يـتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار عن معنى واحد " [١٧٢] . فهو يرى أن سياق اللفظة هو الذي يحدد المعنى ويفرده عما سواه ويخصصه للسامع . وهو بهذا يعتبر أول من

فسر التضاد بالسياق ، فانفتح لكثير من الباحثين المحدثين الغربيين والعرب هذا الباب فراحوا يفسرون المشترك بالسياق أيضاً ، وأيدوا هذه الفكرة بالنسبة للأضداد.

ولقد ذكر أمثلة عديدة للتدليل على ذلك ، منها :

لفظة (جلل) للعظيم واليسير فيقول : " من ذلك قول الشاعر :

كل شيءٍ ما خلا الموتَ جَلَلْ والفَتَى يَسْعَى ويُلْهِيهِ الأمَلْ

فدل ما تقدم قبل (جلل) وتأخر بعده على أن معناه : كل شيء ما خلا الموت يسيرٌ، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن (الجَلَلَ) هاهنا معناه (عظيم) .

وقال آخر :

فَلَئِن عَفَوْتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ولَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

قَوْمِي هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ أَخِي فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فدلَّ الكلام على أنه أراد : فلئن عفوتَ عفواً عظيماً ، لأن الإنسان لا يفخر بصفحة عن ذنب حقير يسير ، فلما كان اللبْس في هذين زائلاً عن جميع السامعين لم يُنكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفي اللفظين " (١٧٣) .

ويبدو أن ابن الأنباري توسَّع في الاعتماد على فكرة السياق في تفسير الأضداد فأدخل في الأضداد ما ليس منها ، حيث أغفل ما يتصل بهذه اللفظة من المعنيين ويجرها إلى حظيرة الألفاظ الدالة على معنى واحد ، لأن فكرة الضدية في هذه الحالة لا تتوفر في اللفظة نفسها وإنما تتوفر في الاختلاف الذي ينشأ من تفسيرها بسب ما يُفَسّر به السياق أو التركيب العام للجملة ، فالتضاد في التأويل لا في اللفظة ، وفي متعلقاتها من الحروف لا بأصلها المفرد .و يدخل تحت هذا الباب من الألفاظ التي اعتبرها ابن الأنباري من الأضداد ــ وهي ليست كذلك في رأينا – ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : هو ما كان تضاده بسبب حروف الجر المتعلقة بالفعل ،ومن أمثلته :

(أغار الرجل إلى القوم) : بمعنى أغاثهم ، (و أغار على القوم) :بمعنى قتلهم(١٧٤) .و (راغ فلان على القوم) :أقبل عليهم ، و (راغ عنهم) : إذا ولى عنهم(١٧٥) . و (فزَّعه) : إذا أخافه ، و (فزَّع عنه):كشف عنه الفزع (١٧٦).

و(أوزَعْتُه بالشيء) : أولعته به ، و (أَوْزَعْتُ) : كففته عنه [١٧٧] . و(ظاهرٌ عليك): لم يزل عنك [١٧٨] ، وأشبه ذلك من الاستعمالات ، وفي رأينا أن التضاد غير حاصل في كل هذه الأفعال إلا بسبب المتعلقات التي تصرف الفعل إلى معنى إيجابي أو آخر سلبي ، فحقيقة الضدية هي بين (إلى وعلى) و (على و عن) و (في و عن) وهكذا ، وليس بين الفعل ونفسه في أي من استعماله ، فقد احتفظت المواد الأصلية للأفعال بمعانيها ، فأغار : اشترك في صراع ، ولكنه مر مع القوم وقد أفادته (إلى)، ومرة عليهم وقد أفادته (على) . وراغ : تحرك بخفاء ، ولكنه تحدد بالإقبال بـ (على) ، وتحدد بالإدبار بـ (عن) . فالحروف لها معان خاصة تتضح وتتبلور إذا اتصلت بالفعل ، فالحرف (إلى) يفيد معنى الإفضاء والإقبال والإقدام وهي معانٍ إيجابية ، و (على) يفيد معنى الإيقاع والنزول والتمكن ، وهي معانٍ سلبية ، كما أن (في) يفيد معنى الرغبة والإرادة ، بعكس (عن) الذي يفيد معنى الترك والعزوف .. الخ فهذه الحروف التي تعلقت بها حروف الجر هي ألفاظ رُسم لدلالتها الطريق وحُدِّد المعنى إيجابياً أو سلبياً بواسطة هذه الحروف ، " وذلك أن العرب جعلت أكثر استعمال (على) في لغتها للشر والأذى ، وجعلت أكثر استعمال (لام الجر) للخير والمنفعة " [١٧٩] . ولقد اعتبرها أحد الباحثين قاعدة عامة في اللغة أو شبه عامة ، إلا إذا كانت (على) موضوعة للفعل أصلاً ، فحينئذ لا تفيد معنى الشر، مثل أشفق عليه وعطف عليه واتفق عليه وأبقى عليه [١٨٠] فهذه الأفعال هي بنفسها تفيد معنى الخير فلا يضيرها تعلق (على) بها . كما ضرب للام أمثلة مُدِلاً بها على أن تعلقها بالفعل مما يصرفه إلى معنى الخير [١٨١] . واللام قريبة من (إلى) قريبة من (إلى) في مجال استعمالها لذا يصح أن تكون شواهدها على هذا المعنى هي شواهد (إلى) التي تعني الإقبال والإفضاء ، كما كانت عن تفيد الانصراف ، يقول السيوطي معلقاً على قوله تعالى : (أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفَث إلى نسائكم)(١٨٢) : لما كان في معنى الإفضاء عدّاه بإلى ، وممثله قول الفرزدق :

(قد قَتَل الله زياداً عَني) لأنه في معنى صرفه [١٨٣] .

ونستطيع أن نخلص مما سبق إلى أن دعوى التضاد في الألفاظ الواردة في هذا القسم الذي نحن بصدده غير واردة لأن الضدية شيء خارج اللفظة ، وطريقة الاستعمال هي التي تقصد إليه قصداً بهذا الحرف أو ذاك من حروف الجر ذوات المعاني الإيجابية أو السلبية .

أما القسم الثاني : وهو ما كان تضاده بسبب موقع اللفظة من السياق : ومن أمثلته :

لفظة (فَوْق) : التي تأتي بمعنى دون [١٨٤] . وفي قوله تعالى (إنَّ الله لا يستحي أن يَضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقها) [١٨٥].و(بَيْن) للوصل والفراق [١٨٦]، في قوله تعالى (لَقَد تقطَّع بينكم[١٨٧]. و (جَديد) للجديد و البالي [١٨٨] . وغير ذلك من أشباه هذه الألفاظ ، التي كان اختلافهم في تفسير معناها في مواضعها التي وردت فيها هو الذي أكسبها صفة الضدية ولم تكن بها قبل هذا الخلاف ، كما لا تكون بعده لو أنها انتزعت من مواضعها الذي هي فيه ، ذلك أن السياق هو الذي يعين بالضرورة معنى اللفظة وعلاقتها السلبية أو الإيجابية فيه ، فهو لا يخفي مقصد المتكلم منه إذا وعى السامع نظم الجملة وأسلوب تركيب الكلام . وإلى هذا رمى الأنباري بقوله : " كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد " [١٨٩] . فبمعونة السياق يستطاع معرفة المعنى والوقوف على حقيقته غير أن الشيء الذي سبب تضاد طائفة من الألفاظ هنا هو الاختلاف في تفسير معانيها وأغراضها عند ورودها في نصوص كان احترامهم لها حيناً ، وجهلهم بملابساتها حيناً آخر هو الذي دفعهم إلى الاختلاف في معاني الألفاظ فيها ، إذا لم يقصد المتكلم أن يستعمل نصه ضداً ، وإنما كان فهم السامعين متضاداً ، فالكلمة في منأى عما يحدث في ذهن السامع من إدراك، وعليه فليست من الأضداد .

أما القسم الثالث : وهو ما كان تضاده من النصوص بسبب اختلاف التفسير :

وهـذا القسـم شبيه بالقسم السابق إلا أنه يفرق عنه بأن التضاد المزعوم في ذلك النوع كـان فـي اللفظة المفردة بسبب اختلافهم في مؤداها من سياق الكلام . أما التضاد في هذا القسم فهو في المعنى العام للنص ، كأن تكون آية برمتها من الأضداد أو بيت شعر بكامله من الأضداد وذلك لاختلافهم في تفسير مراد القائل من مجموع تعبيره . ومن أمثلته في القرآن الكريم : يقول ابن الأنباري : ويُفسر أيضاً قوله عز وجل : (لا خَـوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون) (١٩٠) تفسرين متضادين ، فيقول الكلبي : هذا يقوله الله جل وعز لأصحاب الأعراف في النار رؤساء المشركين فينا دونهم : يا عاصي بن وائل ويا وليد بن المغيرة ويا أسود بن المطلب ويا أبا جهل بن هشـام ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا وما كنتم تستكبرون ، إذ أنتم الآن في النار ، ويـرون فـي الجـنة المستضعفين من المسلمين : سلمان الفارسي وعمار بن ياسر وصـهيباً وعامـر بن فهيرة فيقولون للمشركين : أ هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، فـيقول الله تبارك وتعالى لأصحاب الأعراف : (ادخلوا الجنة لا خوف عـليكم ولا أنـتم تحزنون) . وقال مقاتل بن سلمان : يُقسم أهل النار أن أصحاب الأعـراف على الصراط : أ هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، ويقولون لهم أيضاً : (ادْخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (١٩١) . وهكذا نرى أن المسـالة لا تتعدى أن تكون اختلافاً بين المفسرين في مؤدى الآية وهو مما حفلت به كـل كتـب تفسـير القـرآن الكـريم ومعانـي ، فهـل تعـدّ هذه الكتب من كتب الأضـداد؟.والظاهـر أن الـذي دفع ابن الأنباري إلى الخوض في ذلك هو اتصاله بالقرآن اتصال بحث دقيق ودرس مستوعب واضعاً فيه مصنفاته ودراساته فانعكس ذلك على دراساته اللغوية ، إذ لا نجد مثل هذا في كتب الأضداد الأخرى . ولذا نجد ابـن الأنـباري كثـيراً ما يُحيل القارئ إلى مصنفاته القرآنية لزيادة الاطلاع على الخلاف في التفسير (١٩٢) . ومثل هذه الآية آيات أخرى كثيرة (١٩٣) ومن أمثلة هـذا الـنوع فـي الشـعر : يقول ابن الأنباري : " ومما يُفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس بن الخطيم :

أتعرفُ رسماً كاطرادِ ا لمذاهبِ لعَمرةَ وحشاً غير موقف راكبِ

قال ابن السكيت : أراد بقوله (غير موقفِ راكبِ) إلا أن راكباً وقف ، يعني نفسه . وقال غيره لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن (غير) نعت للرسم ، تأويله : أتعرف رسماً غير موقف راكب ، أي ليس بموقف للراكب لاندرس الآثار منه وامحاء معالمه ، فمتى بصر به الراكب من بعد ذعر منه فلم يقف به . وتفسير ابن السكيت يدل على أن الراكب أراد به الشاعر نفسه ، أي إلا أني أنا وقفت به متذكراً لأهله ، ومتعجباً من خرابه وخلائه من سكانه الذين كنت أشاهد وأعاشر "(١٩٤) . وشبيه بهذا الاختلاف اختلافهم في أبيات أخرى (١٩٥) . ونقول في هذه البيات ما قلناه في الآيات ، من أن هذه الآراء المختلفة في تفسيرها لا تجعل منها أضداداً بالمعنى الذي حددناه وحدده قبلنا الأضداديون أنفسهم ، إذ لابد أن يكون البحث عن التضاد قائماً على دراسة اللفظة الواحدة دراسة تاريخية دقيقة آخذة في الاعتبار استقلالها المعنوي عن كل ما يتعلق بها من كلام وتركيب ، ولعل ما يؤيد ذلك أننا لا نجد مثل هذه البحوث عند غير ابن الأنباري من الأضداديين ، فكأنهم تنبهوا إلى أن الخوض في هذا المضمار ليس مما يدخل في كتبهم التي محضوها لدراسة تضاد الألفاظ وجمع الأضداد وجمع الأضداد . ونستطيع أن نقول إن ابن الأنباري هو المتكثر الوحيد من هذا النوع من الأضداد ، لأننا لا نكاد نعثر على مثله في كتب سواه ممن صنفوا في الأضداد ما عدا ابن الدهان الذي وضع كتابه اختصاصاً لكتاب ابن الأنباري .

*** المجاز والمقلوب من التراكيب ودوره في نشأة الأضداد عند ابن الأنباري :**

(١) ما جاء من الأضداد في باب المجاز :

في مواد الأضداد طائفة غير قليلة يتضح فيها أن أحد معنييها حقيقي والآخر مجازي ، ذلك أن الانتقال من الحقيقة إلى المجاز عن طريق استعمال ألفاظ مستعارة من معانيها الأُوَل إلى معانٍ جديدة ، تدفع إليه حاجات كثيرة في نفس المتكلم قد يكون منها الحياء أو الخجل أو أي دافع آخر متعمد أو غير متعمد ، يقول الأصمعي : " ولما أرادوا أن يجيئوا بالشيء فلا يمكن ، فيأتون بشيء من سببه يستدل عليه

به (١٩٦) . حتى إذا شاع إطلاق اللفظة مجازاً على معنى معين وكثر استعمالها فيه تقترب شيئاً فشيئاً إلى أن تكون حقيقة في دلالتها على ذلك المعنى ، ونكون بعد ذلك إزاء لفظة تتصرف انصرافين حقيقيين ، فإذا كان المعنيان متضادين أو ما يشبه المتضادين عدت هذه اللفظة من الأضداد ، والوهم في عدّ هذه الألفاظ من الأضداد واضح ، ذلك أن الأسرار البلاغية لا علاقة في الواقع بوضع اللغة ، فهي أمور نسبية تتفاوت طرق التعبير عنها بتفاوت الأشخاص . وهذا المذهب يُعَدّ بُعْداً عن حقيقة المسألة لأن كثيراً من الأضداد أمكن الرجوع به إلى اختلاف اللهجات وإلى التغير الدلالي والصوتي الذي يطرأ على الألفاظ ، وغير ذلك من عوامل نشوء الأضداد ، فلا يمكن حصر هذه العوامل جميعاً بالمجاز أو الحيلة اللغوية التي يقصد إليها المتكلم قصداً ، وذلك ما لا يؤيده الدرسُ العلمي الحديث لهذه الظاهرة ، كما لا يؤيده الدرس التاريخي لطبائع العرب وسلوكهم .

وسوف نسوق فيما يلي بعض من أضداد المجاز التي تعرَّض لها ابن الأنباري :

ـ (الهَجْر) : يقال هجرت الرجل إذا شددت في أنفها الهجار وهو حبل ، ليعطفها على ولد غيرها (١٩٧) . فقد انتقلت اللفظة عن طريق المجاز من معنى هجر الرجل فأطلقت على هجر الناقة لولدها والعطف على ولد غيرها .

ـ (إرَة) : للحفرة التي تشعل فيها النار ، وللنار بعينها (١٩٨) .

ـ (الإشْرارَة) : يقال إشرارة للخصفة التي يشرر عليها الملح والأقط ، ويقال إشْرارة لما يُشَرّر على الخصفة من الملح والقط (١٩٩) .

ـ (الثِني) : يقال ناقة ثني إذا وضعت بطنين ، ويقال للذي في بطنها ثني(٢٠٠) .

ـ (الناس) : يقال ناس للناس ، وناس من الجن(٢٠١) .

ـ (الغانية) : يقال غانية للمرأة التي استغنت بزوجها ، ويقال غانية للمرأة الجميلة التي تستغني بجمالها عن الزينة (٢٠٢).

ـ (الأيِّم) : يقال امرأة أيِّم إذا كانت بكراً لم تُزَوَّج ، وامرأة أيِّم إذا مات عنها زوجها (٢٠٣) .

ـ (الظهارة والبِطانَة) : يقال للظهارة بطانة ، وللبطانة ظهارة ، لأن كل واحد منهما قد يكون وجهاً(٢٠٤) .

ـ (الثَّغْب) : يقال للماء ثغب ، وللموضوع فيه الماء ثَغب(٢٠٥) .

ـ (الأَحْمَر) : للأحمر والأبيض(٢٠٦) .

ـ (الأَخْضَر) : للأخضر والأسود(٢٠٧) .

ـ (الأَخْضَـر) يقـال رجل أخضر إذا مُدِح بالخطب والعطاء والسخاء ، ورجـل أخضـر إذا كان لئيماً (٢٠٨) . فالمعنى الأول مجازه واضح ، أما الثاني فربما كان من السواد الذي تنصرف إليه لفظة الأخضر السابقة .

ـ (الأَكْسَـة) : للـذي تلـده أمه أعمى ، وللذي يُبصر بالنهار ولا يبصر بالليل(٢٠٩) .

هـذه المـواد التـي ذكرناها هي من الأضداد أمكننا تفسير نشوئها بالمجاز الذي حصل فيها، وهو تفسير ألمح إليه ابن الأنباري تلميحاً ، فكان في صدر المادة أحياناً عـبارة (ومما يشبه الأضداد) أو (ما يجري مجرى الأضداد) مشيراً إلى أنه بجد فيها شيئاً ما ، بالإمكان أن يرد إلى ما يشبه المجاز ، على أن أبا الطيب اللغوي الذي صـنف كـتابه بعـد ابن الأنباري ، كان صارماً تجاه هذه الفئة من الأضداد ، فلم يُدرجها في مواضعها من كتابه ، وإنما أفرد لها فصلاً في آخر الكتاب أطلق عليه (باب ما جاء مسمًّى باسم غيره لما كان من سببه ، فأدخله من كان قبلنا في الأضداد) (٢١٠) . ويـدرج فيه مجموعة مما يُفَسّر بالمجاز ، ويُشعرنا عنوان الباب أنه لولا إدخـال مـن كان قبله لهذه الطائفة من الألفاظ في الأضداد لما عدّها هو منها ولما ذكرها في كتابه ، ومع ذلك فإفراده لها ينبئ عن برودة موقفه من ضديتها .

(٢) ما جاء من الأضداد في باب المقلوب :

وهـو مـا يُسـمى أحـياناً بـ (المزال عن جهته) ، وقد اعتبرته بعض كتب الأضداد قسماً من الأضداد ومنها مصنف ابن الأنباري بينما استبعدته كتب أخرى . ويُقصد به تغير تركيب العبارة عن ترتيبها المتعارف عليه ، وذلك بأن يُقلب الفاعل

مفعولاً أو المفعول فاعلاً أو ما يشبه ذلك مما لا يلتبس معناه لدى السامع لأن القصد فيه واضح . ومن أمثلته التي ذكرها ابن الأنباري :

ـ (ناءَ بي الحِمْل) : والأصل نؤت بالحمل (٢١١) .

ـ (تهيَّبُني البلاد) : والأصل تهيبتها(٢١٢).

وغيرها من التراكيب المقلوبة التي يمكن أن يُفسّر ما ورد منها في الشعر بالضرورة الشعرية وبصرامة التفعيلة وحركة الرويّ ، وما ورد منها في النثر بالمجاز حيناً وبالسهو والخطأ أحياناً ، إلا أن استقراء هذه الفئة من التراكيب المقلوبة يدل على أن أكثرها بل كلها قُصد منه المجاز باستعارة معنى لفظ آخر يجاوره في التركيب الواحد وبالعكس ، فلا يمكن أن يُفَسّر (ناء بي الحِمْل) مثلاً بغير المجاز البليغ ، فلا اضطرار يدفع إلى هذا التعبير ، وإنما تكون هذه التراكيب أوقع في النفس مما لو كانت واردة بترتيبها الطبيعي من الكلام . ولم يؤثر عن العرب أنهم التبس عليهم المعنى فضحكوا من المتكلم لأنه قصد إلى أن ينوء الحمل بالحامل ، بل على العكس فقد استكثروا من هذه الصياغات المجازية ودار على ألسنتهم قلب التراكيب دون أن يُزعج ذلك فهمهم للمعاني ، لهذا فمن الخطأ أن تعدّ من الأضداد للأسباب التي بيَّناها من جهة ، ولأن هذه التراكيب ليست ألفاظاً مفردة وردت متضادة المعنى ، وإنما توهم التضاد في هذه التراكيب كان بسبب التركيب نفسه ، إذ لو جزّأنا العبارة لما وجدنا في ألفاظها (ناء) (بي) (الحمل) أي نوع من أنواع الضدية ، ولقد وقف أبو حاتم السجستاني من هذا النوع موقف الشك ، كما ألغى أبو الطيب اللغوي هذا النوع من الأضداد وأفرده في باب تكلّمت به العرب مقلوب المعنى، مزالاً عن جهته ، فخُلط بالأضداد وليس منها) .(٢١٣) ، فعبارته " وليس منها " صريحة بعدم قناعته بضدية هذه التراكيب ، واعتقاده أنه من أساليب العرب في مجازها واستعارتها وتفننها في الكلام ، وقد خُلطت بالأضداد وهي شيء آخر .

*** التصحيف عند ابن الأنباري ودوره في نشأة الأضداد :**

قد تتعرض أصوات لفظة من الألفاظ إلى التغير أو الحذف أو الزيادة ، بحيث يترتب على هذا التغير الصوتي الذي يلحق اللفظة أن تتحد في أصواتها مع

لفظة أخرى مضادة لها في المعنى ، فتنشأ بسبب ذلك ألفاظ تعدّ وهماً من الأضداد ، ومن أمثلة ذلك عند ابن الأنباري في مصنفه :

ـ (الغابـر) : للماضـي والباقي (٢١٤) . ولعله في معنى الماضي من (العابـر) وبه يمكن أن تُفسّر الشواهد التي تعبر عن معنى المضيّ ، ونستشعر ذلك في قول العجاج :

أ عابرانِ نحن في العُبّارِ أم غابرانِ نحن في الغُبّار (٢١٥)

وواضـح هـنا أن الغابر للباقي لا غير وأن العابر للماضي ، فلو كان الغابر يحتمل المعنيين لاستعماله فيهما ، لا كما يذهب ابن الأنباري إلى أن المعنى هنا الماضي ، ويؤيد هذا أن العجاج قصد في قوله :

فما وَنى محمدٌ مذ أنْ غفر له الإله ما مضى وما غبر (٢١٦)

بمعنى الباقي كما ذهب ابن الأنباري (٢١٧) . لأنه لا يمكن لنفس القائل أن يستعمل الضد في مكانين بمعنيين كما قررنا ذلك قبلاً ، فحين استعمل العجاج (غبر) بمعنى بقـر فـي هذا الشاهد ، لا يصح أن نعتقد أنه استعمل (الغابر) بمعنى الماضي في الشاهد الأول لأن القائل هو نفسه ، وعلى هذا فإن استعمال الغابر بمعنى الماضي قد يكون بسبب التصحيف الذي أعجم العين من (العابر) .

ـ (سَـمَل) : أصـلح بيـن القوم ، وفقأ العين(٢١٨). والظاهر أن سمل بالمعـنى الأول هـي (شَـمَل) بالشين جاءت إلى الأضداديين مصحفة في شاهد من الشواهد (٢١٩) .

ـ(بَـرَّد) : برَّد وسخَّن(٢٢٠) . وذلك استناداً لما ذكره ابن الأنباري من قول الشاعر :

عافتِ الشربَ في الشتاءِ فقُلنا بَرّديه تُصادفيه سخينا (٢٢١) .

وهو في الواقع (بل رديه) وعلى هذا اللفظ يجب أن يُروى البيت ، وبفك الإدغام الذي أوهم خطأ بالتضاد . وقد أشار ابن الأنباري نفسه إلى ذلك ونقله عن ثعلب .

رابعاً : منهج ابن الأنباري في تصنيف كتاب الأضداد :

كتاب (الأضداد) لابن الأنباري من أجل ما أُلّف في موضوعه ، ومن أكمل المحاولات الجادة لدراسة هذه الظاهرة ، بما اشتمل عليه من استيعاب واستقراء ودقة في أكثر الأحيان . وكان ولا يزال أحد أهم المصادر الأساسية إن لم يكن أهمها الذي يُرجع إليه في هذا الباب من اللغة ، فقد نقل القدماء عنه كثيراً واستشهدوا بآرائه في كل مصنفاتهم ومعجماتهم اللغوية ، بدءً من تلاميذ ابن الأنباري نفسه وانتهاءً بالبغدادي صاحب خزانة الأدب (٢٢٢) . كما رجع إليه الباحثون المحدثون في دراساتهم القيّمة عن الأضداد ، وعدّوه من أنضج الدراسات القديمة في هذا الموضوع وأشهرها جميعاً.

وسوف نعرض فيما يلي لخطة ابن الأنباري في تصنيفه لكتابه الأضداد من خلال ثلاثة مباحث، يعالج الأول منها يعالج مصادره التي استقى منها مادة الأضداد، والثاني يتناول المنهج الذي اتبعه في عرض مادة الأضداد ، أما الثالث فنوضح من خلاله أهم القضايا التي تناولها في عرضه للأضداد .

(أ) مصادر ابن الأنباري في دراسة قضية الأضداد :

ومصادر ابن الأنباري في كتابه متنوعة ، إلا أنها في الأغلب الأعم كوفية ، فقد روى عن أستاذه ثعلب عن سلمة بن عاصم عن الفراء عن الكسائي ، وعن ابن الأعرابي بوساطة ثعلب أيضاً ، وعن ابن السكيت . وهؤلاء هم شيوخ مدرسة الكوفة في اللغة . ولكنه روى كذلك عن بعض شيوخ مدرسة البصرة كقطرب وأبي عبيدة والأصمعي وأبي حاتم السجستاني وابن قتيبة ، وقد ناقشهم وردهم ووقف منهم موقف المفنِّد في كثير من المواضع وخصوصاً ابن قتيبة . ومال إلى أساتذته الكوفيين وأيّدهم وكرر النصّ على أن ما يقولونه هو الصواب . بحيث يعطي كتابه بشكل عام صورة واضحة لنزعته الكوفية الخالصة المتمثلة أولاً بتلمذته لثعلب والإكثار من الرواية عنه وعن شيوخه ، وثانياً بموقفه من بعض شيوخ البصريين وردّه لآرائهم ، وثالثاً بذوقه اللغوي القائم على الإكثار من الشواهد الشعرية والقرآنية وذِكْر آراء المفسرين والاحتجاج بالقراءات ولهجات العرب وأساليبهم المختلفة وما إلى ذلك ،

مما يؤكد فكرة الاعتماد على النقل والرواية واحترامهما ، والبعد عن التمحّل والتقعّر والنظر الفلسفي العقلي .

ولقد نصّ ابن الأنباري على اعتماده النقل والرواية كأساس لمنهجه في تصنيف كتابه وفضله على غيره حيث زاد فيه مما ليس في سواه ، فيقول : " وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة وصنفوا في احصائها كتباً ،نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء ، وأسقط منها جزءً ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها ، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان، واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد (٢٢٣) .

ولقد وصلنا كتابه وطُبع عدة طبعات ، فقد صدر في طبعة حديثة أولى في القاهرة سنة ١٣٢٥هـ اعتنى بضبطها بالشكل وتصحيحها ــ حضرة ــ ملتزم طبعها الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي ، صاحب المكتبة الأزهرية مع العلامة اللغوي الشيخ أحمد الشنقيطي بعد مقابلتها على نسخة قديمة من خط المؤلف (أي ابن الأنباري) (٢٢٤) . كما صدر هذا الكتاب أيضاً في الكويت من تحقيق أبي الفضل إبراهيم بالكويت سنة ١٩٦٠م (٢٢٥) واعتماد ابن الأنباري على النقل والرواية كأساس لمنهج كتابه ، والذي نص عليه كما أشرنا من قبل تجلى في أن كتابه يعدّ أكبر وأوسع كتب الأضداد ، إذ وصل عدد الأضداد فيه إلى سبعة وخمسين وثلاثمائة ضداً ، ويكاد يكون هذا العدد ضعف عدد الأضداد عند أبي حاتم السجستاني ، وضعفيه عند الأصمعي ، وثلاثة أضعافه عند ابن السكيت ، وفي هذا تتجل سعة الحفظ والرواية ، وقد جاءت شروحه غاية في الإفاضة والاكتظاظ والاستطرادات والتعليقات .

(ب) منهج ابن الأنباري في عرض الأضداد :

ولقد أكثر ابن الأنباري من الاعتماد على الشواهد فجاءت في كتابه كثيرة جداً ومتنوعة تنوعاً عجيباً ، أكسبت كتابه هذه الضخامة والسعة ، بحيث لو أننا

جردنا الكتاب من الشواهد واقتصرنا على مواد الأضداد وبيان معانيها المتضادة فقط، لم يبق في أيدينا إلا جزء صغير لا يتعدى ثلث الكتاب . وتتوزع هذه الشواهد على الشعر والآيات القرآنية والأحاديث والأمثال والمأثور من كلام العرب والقصص والأخبار ، وما يستتبع كل ذلك من شرح لألفاظ الشواهد اللغوية والتعليق على موطن الشاهد والتعرض لآراء المفسرين والفقهاء في دلالة الآيات والأحاديث واختلاف القراءات وعرض وجهات نظر النحاة واللغويين في استعمالات العرب المختلفة في كلامهم ، حتى كان من مجموع ذلك دراسة لغوية غزيرة المادة واسعة الرواية دقيقة النتائج . فلا يكاد يخلو الكلام على أي مادة من مواد الأضداد في الكتاب من الاستشهاد بمجموع هذه الأنواع المختلفة من الشواهد أو ما هو قريب من هذه النسبة. إذ بلغ عدد الآيات التي استشهد بها في الكتاب (٢٦٩) آية ، والأحاديث (٥٣) حديثاً ، والأشعار (٧٩٦) بيتاً ، أنصاف الأبيات (١١) شطراً ، والأرجاز (٩٩) رجزاً ، ومثل هذه الأعداد استشهد بالأمثال والأخبار والمأثور وهكذا . وشعراؤه يتوزعون مختلف العصور فيهم الجاهليون كامرئ القيس والأعشى وزهير بن أبي سلمى والأفوه الأودي وطرفة بن العبد والنابغة الذبياني والخنساء وغيرهم ، وفيهم الإسلاميون (المخضرمون وصدر الإسلام) كحسان بن ثابت وابن الزبعري وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير وكعب بن مالك وغيرهم ، وفيهم الأمويون كالأخطل والكميت والفرزدق وجرير وذي الرمة والراعي النميري وكثير وابن قيس الرقيات . ولم يستشهد للعباسيين مطلقاً كأنه ممن لا يحتج بلغتهم في الشعر ، ولكنه مع ذلك يعتبر من المتوسعين في الاستشهاد والمتساهلين فبه باستشهاده بشعر الفرزدق وجرير والأخطل وغيرهم من شعراء العصر الأموي الذين أسقطهم غيره من اللغويين والنحاة ــ البصريين خاصة من دائرة الاحتجاج بلغتهم والاستشهاد بشعرهم .

ولكننا نأخذ عليه عدم الدقة في المنهج في أحايين كثيرة ، إذ ليست كل استطراداته والاستشهاد موفقة إذ كثيراً ما يورد شاهداً على أحد المعنيين المتضادين ثم يستطرد في شرح الشاهد وإيراد شواهد أخرى على شرحه مبتعداً بها عن صلب

الموضـوع ، ففي مادة (أخلفتُ) مثلاً أتى بعشرة أبيات من الشعر ليس منها سوى بيـت واحد على فكرة الأضداد (٢٢٦) . ومثل هذا الأمر نجده في أكثر من نصف مـواد الكتاب . وبما أن " أكثر دراسة ابن الأنباري منصبَّة على الألفاظ التي جاءت في القرآن واعتبرها السابقون من الأضداد وأخطأوا فيها التأويل ، يمكن أن يقال إنه حـاول أن يهـدم نظرية الأضداد السابقة بتوسّع وإفاضة . ويجتهد فيما وقف العلماء حياله صامتين من آيات القرآن ، فيحاول أن ينفذ من الحيّز الضيق المضروب حول اللفظ القرآني . ويحاول أن يوفق بين اللفظ والسياق دون التحامل على الآية أو على اللفـظ ، ويـرفض القـول بالقلـب والتـناقض والتضاد ، دون مبرر ودون إعمال فكـــر"(٢٢٧). ولكن لسان حال تعامل ابن الأنباري مع بعض آيات القرآن الكريم يناقض ما ذهب إليه الدكتور محمد زغلول سلام ، ومما يثبت ذلك ما جاء حول لفظ (اللحـن) التي طرأ عليها تغير دلالي فصارت لها معانٍ بلغت العشرة تقريباً وكل معـنى منها متطور عن المعنى السابق لوجود العلاقات السببية بينهما وقرب مجال الدلالـة وكلها ترجع إلى معنى عام قديم هو (إزالة الشيء عن جهته) ، إلا أن ابن الأنباري عدّها من الأضداد وقال : " واللحن حرف من الأضداد ، يقال للخطأ لحن ، وللصـواب لحن . فأما كون اللحن على معنى الخطأ فلا يحتاج فيه إلى شاهد ، وأما كونـه علـى معـنى الصـواب فشـاهده قول الله عز وجل : (ولتعرفنَّهم في لحن القـول)(٢٢٨) ، معناه : في صواب القول وصحته " (٢٢٩) . فابن الأنباري عدا أنه اقتسر تضاد هذه اللفظة التي لم تتمخض للمعنيين المتضادين ، فقد نسى أن الآية التي استشهد بها على معنى الصواب نزلت في شأن المنافقين ، ولا يمكن أن يوصف قولهم بالصواب . وإنما أراد القرآن الكريم بها التلميح والتورية الخفية التي يشير بها المـنافقون إلـى نواياهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عرض لهذه الآية أحد المستشرقين فقال إنها : " في وصف طريقة التعبير المعسولة التي لا يبدو في ظاهر جرسـها سـوء ، والتي يرمز بها أعداء محمد إلى معان يفهمها إخوانهم في الرياء والـنفاق " (٢٣٠) . فالآية إذن لم تسعف ابن الأنباري بمعنى الصواب ، وبمثل هذا اليسـر تُـرَدُّ أغلـب الألفـاظ التي زعم أنه من الأضداد ويُرجع بها إلى مواضعها

الصحيحة من اللغة . وهذا الأمر ليس قاصراً على ابن الأنباري وإنما ينسحب على باقي كتب الأضداد ، إذ لا تصمد أغلب مواد هذه الكتب أمام البحث العلمي والتفسير الدقيق ، لأن ما رُوي عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية ، فإننا حين نحلل أمثلة التضاد ونستعرضها جميعاً ، ونُرجع ما يمكن إرجاعه إلى التكلف والتعسّف في اختيارها ، يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة كما توصل إلى ا لمستشرق جيز (Giese) بعد دراسته للشعر الجاهلي (٢٣١)، ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات الأضداد لا يشكل مشكلة بالمعنى الدقيق ، وإنما يعبّر عن مرحلة من تاريخ اللغة ، خصوصاً وأن مصير هذه الألفاظ إلى الانقراض ، وذلك بأن يجري الاستعمال بمعنى واحد من الضد مع مرور (٢٣٢) ، كما كان الأمر قبل التدوين الذي رسّخ الضدية في هذه الألفاظ .

* إن ابن الأنباري لم يرتب كتابه حين وضعه ترتيباً أبجدياً أو ألفبائياً أو صوتياً أو موضوعياً جرت العادة في وضع المعجمات . فلقد بدأه بحرف هو السابع عشر في الأبجدية العربية هو (الظاء) في كلمة (الظنّ) التي استغرق شرحها زهاء خمس صفحات . في حين نحد حرفي (الألف) و (الجيم) في الصفحات الأخيرة من الكتاب .

* لم يميز ابن الأنباري في عرض مفرداته وشرحها بين فعل وبين اسم وبين حرف ، كان يقدمها ويتحدث عنها دون ترتيب أو تنظيم وإنما كان ينتقل على هواه من الحروف إلى الأسماء فالأفعال دون حرج . ففي صفحتين متتاليتين في الكتاب تحدث عن هذه الكلمات :

- (مُشِبّ) : للمسن والشاب .
- (أعبل) : فعل : إذا سقط ورقة ، وإذا أخرج ثمره .
- (طلعت) : فعل : على الرجل : أقبلت عليه ، وأدبرت عنه (٢٣٣) .

* يعتمد ابن الأنباري الإسهاب في الشرح باستمرار ، وربما لا تدعو الحاجة إلى ذلك ، ويمكن أن نرى نموذجاً لهذا الإسهاب في حديثه عن (أَشُدّ)

يقول:" بلغ فلان أشده إذا بلغ ثماني عشرة سنة ، وبلغ أشده إذا بلغ أربعين سنة . قال الله تعالى (حتى إذا بلغ أشُدَّه وبلغ أربعين سنة) (٢٣٤).

قال الفراء : ويقال الأشدّ أربعون سنة . قال : وحكى لي بعض المشيخة بإسناد ذكره أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة ، والاستواء أربعون سنة . قال : وحَكَى أن الأشدّ ثماني عشرة سنة . وقول من قال ثلاث وثلاثون سنة أشْبَهُ بالآية ؛ لأنه عطف (الأربعين عليه ، والأربعون أقرب إلى ثلاث وثلاثين منها إلى ثماني عشرةَ سنة ، فكان ذلك أولى ...الخ "(٢٣٥) .

*يميل ابن الأنباري إلى الاستطراد كلما سنحت أمامه فرصة لذلك ، ولا غرابة ما دام قد وُلد بعد وفاة سيد الاستطراد وظريفه الجاحظ بعشرين سنة تقريباً (الجاحظ : ١٦٣ ــ ٢٥٥هـ) ، و(ابن الأنباري : ٢٧١ ــ ٣٢٨ هـ) فلابد أنه قرأ مؤلفاته جيداً ، وتأثر بأسلوبه في الكتابة . فلننظر ماذا فعل وهو في صدد كلمة (وثب) : " يقال وثب الرجل إذا نهض وطفر من موضع إلى موضع . وحمير تقول: وثب الرجل إذا قعد .وقال الأصمعي وغيره : دخل رجل على ملك من ملوك حِمْيَر، وكان الملك جالساً في موضع مشرف فارتقى إليه ، فقال الملك : ثِبْ ! يريد : اجلس. فطفر فسقط فاندقت عنقه . فقال الملك من " ظَفَار " حمَّر ، أي تكلم بلسان حمير . وقال بعضهم: معنى " " حَمَّر) تزيَّا بزيهم ، ولبس الحمْر من الثياب . و " ظَفار " اسم مدينة باليمن ، يُنسب إليها الجَزْع الظَفاري . و "ظَفارِ " كسرت : لأنها أجريت مجرى ما سمى بالأمر كقولك " قِطام وحَذام لأنهما على مثال : قَوال ونَظار. ومن ذلك (خلاقِ من أسماء المنيَّة ، و طَمَارِ اسم حبل " (٢٣٦) .

* يسوق ابن الأنباري الحكاية مع الشاهد بين وقت وآخر خلال شرحه مفرداته في الأضداد. مثال ذلك ما كان وهو يتحدث عن لفظة (لحن) فبعد أن بيّن أنها تقال للخطأ و للصواب ، وبيّن وجوهاً وشواهد في ذلك ، قال مورداً حكاية، هي:

" خبرنا الأصمعي عن عيسى بن عمر قال ، قال معاوية للناس : كيف ابن زياد فيكم. قالوا ظريف على أنه يَلْحَن ، قال فذلك أظرف له . ذهب معاوية إلى أن معنى يلحن : يفطُن ويصيب " (٢٣٧) .

* تبدو النزعة العربية واضحة لدى ابن الأنباري في كثير من المواضع في الكتاب فهو يمر بأسماء يعرفها كثيرون على أنها أعجمية ، فيرى ابن الأنباري وجهاً لعروبتها ، لكنه يتحفظ قائلاً " لا قياس من ذلك ، مثلاً اسم يعقوب ، يقول ابن الأنباري : يكون عربياً لأن العرب تسمي ذَكَر الحَجَل يعقوباً ، ويجمعونه : يَعاقيب ، قال سلامة بن جندل (٢٣٨) :

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيب أودى و ذلك شأو وغير مطلوب
ولّى حثيثاً وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ، رَكْضَ اليعاقيب (٢٣٩)

وهناك اسم " اسحق " وقوله فيه : يكون أعجمياً مجهول الاشتقاق ، فيُمنع الإجراء في باب المعرفة بثقل التعريف والعجمة . و يكون عربياً من أسحقه الله إسحاقاً أي أبعده إبعاداً ، من ذلك قوله جل اسمه " فسحقاً لأصحاب السعير "(٢٤٠) أي : بعداً لهم (٢٤١) .

ومثل ذلك اسم " أيوب " وفيه يقول ابن الأنباري : يكون أعجمياً مجهول الاشتقاق ، ويكون عربياً مُجْرىً في حال التعريف والتنكير ، لأنه يجري مجرى " قَيّوم " من قام يقوم . ويكون فيعولاً من آبَ ــ يَؤوب إذا رجع . قال عبيد الأبرص:(٢٤٢)

وكل ذي غَيْبَةٍ يَؤوبُ وغائبُ المَوْت لا يؤوبُ (٢٤٣)

ولكن ابن الأنباري يتمهل ليتحفظ مع أبي بكر الذي قال : " و لا يقاس على هذه الأسماء الثلاثة ــ أعني إسحاق و يعقوب وأيوب ــ غيرها من الأسماء الأعجمية مثل إدريس وغيره ، لأنه لم يُسمع من العرب إجراء سوى هؤلاء الثلاثة في باب المعرفة . ومحال أن يعمل من هذا بالقياس ما تنكبه العرب و لا تعرفه " (٢٤٤) .

* وابن الأنباري له رأي في المترادفات ، حيث توقف ملياً في مقدمة كتابه ، أمام ما يمكن أن ندعوه : الأضداد أو النقائض والمترادفات فيقول إن أكثر كلام العرب " يأتي على ضربين آخرين ، أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك : الرجل والمرأة ، والجمل والناقة ، واليوم والليلة ، وقام وقعد ، وتكلم وسكت وهو الكثير الذي لا يحاط به والضرب الآخر ، أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد ، كقولك : البُرّ والحنطة ، والعير والحمار ، والذئب والسِّيد ، وجلس وقعد ، وذهب ومضى (٢٤٥) . ولكن ابن الأنباري يرفض أن يعدّ هذه الألفاظ مترادفات ، كما درج بعضهم على ذلك ، محتجاً برأي ابن الأعرابي نقلاً عما قاله ابن العباس : " كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به . وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله " (٢٤٦) .

* يؤكد ابن الأنباري على ربط الأسماء بالمعاني ، فيقول ناقلاً عن ابن الأعرابي إنه " الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصصت منها من العلل ما نعلمه منها وما نجهله " ، ثم يتابع عن ابن الأعرابي ، مسنداً الكلام إلى أبي بكر أن مكة سميت مكة لجذب الناس إليها ، والبصرة سميت البصرة للحجارة البيض الرخوة بها – والكوفة سميت الكوفة لازدحام الناس بها ، من قولهم : قد تكوّف الرمل تكوّفاً إذا ركب بعضه بعضاً . والإنسان سمى إنساناً لنسيانه ، والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز من قولهم : أمر مبهم إذا كان لا يُعرف بابه ، ويقال للشجاع : بُهْمَة لأن مقاتله لا يدري من أي وجه يوقع الحيلة عليه . فإن قال لنا : قائل لأي علة سمي الرجل رجلاً والمرأة امرأة ، والموصلُ الموصلَ ، ودعد دعداً . قلنا لعلل علمتها العرب وجهلناها أو بعضها " (٢٤٧) .

(جـ) من القضايا التي تناولها ابن الأنباري في عرضه للأضداد :

* هناك بعض الصيغ الصرفية التي أقر ابن الأنباري مجيء الأضداد منها، وهناك صيغ أخرى استبعد مجيئه منها : فمن الصيغ الصرفية التي يجيء منها الأضداد صيغة (فَعُول) ، يقول ابن الأنباري : ("فَعُول) من حروف الأضداد .

يقال ركوب للرجل الذي يركب ، وركوب للطريق الذي يُركب ، وأنشد : " يَدَعْنَ صَوَّان الحَصى رَكُوباً "

أي مركوباً، وأنشد لأوس بن حجر :

تَضَمَّنَهَا وَهم رَكُوبٌ كأنه إذا ضَمَّ جنبيه المخارم رَزْدَقُ

الرزدق : الصف من الناس ، وأصله أعجمي (٢٤٨) .

وعلى هذا المنوال يتابع حديثه على صيغة " فَعُول " قائلاً : و كذلك (الفجوع) يكون الفاجع والمفجوع . ومثل ذلك (ذَعُورٍ) تحتمل تأويلين أحدهما ، ذعرت رجلاً يذعر الناس . وكذلك (الزجور) يقال للزاجر و للناقة التي لا تدرّ حتى تزجر . و (الرغوث) ، يقال : رغوث التي يرغَثُها ولدها ، فيكون للمفعول ، ويقال : رَغوث للولد الذي يرغثها فيكون للفاعل . ومنه أيضاً (نَهُوز) و (غَمُوز) و (عصوب) و (شكوك وضغوث وعَرُوك) ...(٢٤٩) .

أما عن الصيغ الصرفية التي استبعد ابن الأنباري مجيء الأضداد منها ، ما كان تضاده بين (فَعَل وأفْعَل) (٢٥٠) وما كان تضاده بين (فَعَل وفَعَّل) (٢٥١) ، واستبعد كذلك ما كان تضاده بين (فَعْل وفَعِل ومَفْعُول وفَعِيل) (٢٥٢) ، وأخرج ما كان تضاده بين (فاعِل و مَفْعول) (٢٥٣) .

* أخرج من الأضداد ما كان تضاده بين (الاسم والفعل) حيث اشترط ابن الأنباري من ناحية اللفظ (الشكل) أن يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين وكل منهما على وزن واحد وصيغة متشابهة ، وإلا فلا يجوز الحكم على ما شذ عن ذلك بالتضاد . يقول ابن الأنباري كمثال على ذلك : " قال قطرب : من الأضداد قولهم : (قد جَمَّرْتُ المرأة) ، إذا جعلتَ لها كالنَّزَعَتَيْن من حَلْق ونَتْف ، والنَّزْعة : ما ينحسر من شعر جانبي الرأس الذي يَعْضُد ، نابت في الجبين، قال : ويقال للذؤابة جِمَار ، ويقال للمرأة جِماران ، أي ذؤابتانِ ضُفِرتا مُقْبِلَتَيْن على وجهها". ويقول ابن الأنباري معلقاً على ذلك بقوله : إن " قول قطرب : (جَمَّرت المرأة) ، و (لها جماران) من الأضداد ليس بصحيح ؛ لأن (جَمَّرت) لا يكون

بمعنى وفَّرت الشعر ؛ ولا يقال : جمار لما يضادّ الذؤابة ، فلا وجه لإدخاله في حروف الأضداد " (٢٥٤) .

* وتحدث ابن الأنباري عن التصغير ، فذكر أن " التصغير من الأضداد لأنه يدخل لمعنى التحقير ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول العرب : (أنا سُر يسير هذا الأمر) . أي أنا أعلم الناس به. ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة : أنا جُذَيْلُها المُحَكك وعُذَيقُها المُرجَّب . أي أنا أعلم الناس بها. فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير . و الجُذَيل تصغير الجِذل وهو الجذع وأصل الشجرة . و المُحَكَّك : الذي يُحتكّ به . أراد : أن يُشتفى برأيي كما تشتفي الإبل أولات الجِرب باحتكاكها بالجذع. والعُذيق تصغير العذق ، وهو الكباسة والشمراخ العظيم . والمُرجَّب الذي يُعمد لعظمه . وقال لبيد في هذا المعنى :

وكل أناسٍ سوف تَدْخُل بينهم دُوَيْهِيَة تصفرّ منها الأنامِلُ (٢٥٥)

فصغّر الداهية معظِّماً لها ، لا محقِّراً لشأنها ثم يدخل ابن الأنباري في بحث نحوي في التصغير فيرى أنه ثمانية أوجه . إلا أن ما يهمنا منها هنا : تصغير العين لنقصان فيها كقولك : هذا حُجَيْر ، إذا كان صغيراً ز وكذلك هذه دويرة إذا لم تكن كبيرة واسعة . ويكون التصغير على جهة تحقير المصغَّر في عين المخاطب وليس به نقص في ذاته ولا صِغَر كقول القائل : ذهبت الدنانير فما بقي منها إلا دُنَيْنِيرٌ واحدٌ . وكذلك هلك القوم فما بقي إلا أهل بُيَيْت . ويكون التصغير على معنى الذم كقولهم : يا فُوَيْسِق يا خُبَيْثُ .

ويكون التصغير على معنى الرحمة والإشفاق والعطف كقولهم للرجل : يا بُنَيّ و يا أُخَيّ ، وللمرأة : يا أُخَيَّة (٢٥٦) .

* وذكر ابن الأنباري أن من الأضداد (الأفعال) . فيرجع في الفعل (يهوي) إلى قطرب لإثبات أنه من الأضداد ، فيقول : " يكون بمعنى يصعد ، ويكون بمعنى ينزل ، وأنشد :

" والدلوُ تهوي كالعُقَاب الكاسرة " وقال : معناه تصعد . والمعروف في كلام العرب ، هوت الدلو تهوى هويّاً إذا نزلت . قال ذو الرمة (٢٥٧) :

كأنَّ هَوِيَّ الدلو في البئر شَلَّهُ بذات الصُّوى آلافهُ وانشلالُها

آلافه : جمع ألف" (٢٥٨) .

وفي تقديمه الفعل (أخفيت) الشيء إذا سترته ، وأخفيته إذا أظهرته ، يستشهد بقوله تعالى : (إن الساعة آتية أكاد أخفيها)(٢٥٩) . فمعناه أكاد أسترها ، وفي قراءة أُبَيّ (أكاد أخفيها من نفسي) فكيف أطلعكم عليها . ويذهب إلى أن تأويل من نفسي ، من قبلي ومن غيبي ، كما قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) (٢٦٠) . ويقال معنى الاية أن الساعة آتية أكاد أظهرها. ويقال خَفَيتُ الشيء إذا أظهرته ويستشهد على معنى الإظهار بقول الشاعر :

يَخْفِي التُّراب بأظلافٍ ثمانيةٍ في أربَعٍ منهن الأرضَ تَحْلِيلُ (٢٦١)

وعلى معنى الاخفاء يقول الكنديّ :

فإن تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا تَخْفِهِ وإنَّ تبعَثُوا الحربَ لا نَقْعُدِ (٢٦٢)

وفي (خبت النار) إذا سكنت وإذا حميت يستشهد بقول الكميت (٢٦٣) :

ومِنَّا ضِرارٌ وابْنَماه وحاجِبٌ مُؤَجِّ نيرانِ المكارمِ لا المُخْبِي

أراد بالمُخْبِي المسكِّن للنار . ثم ينتهي ابن الأنباري إلى قوله تعالى: (كلما خبت زدناهم سعيراً) (٢٦٤). ويقول ابن الأنباري : " قال بعض المفسرين معناه توقدت . وهذا ضد الأول . ويروي عن الحجاج عن ابن جريح – بعد العنعنة – أنه قال في (كلما خبت) : خَبُوُّها توقدها ، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً ، صارت جمراً يتوهج ، فإذا أعادهم الله عز وجل خلقاً جديداً عاودتهم " (٢٦٥) . ثم يتابع الاستشهاد والتأويل في هذين المعنيين .

* وذكر ابن الأنباري أن معنى الأضداد : (الأسماء) . ومن ذلك لفظة (اللحن) : يقال للخطأ ، ويقال للصواب . يقول ابن الأنباري : فأما كون اللحن على معنى الخطأ ، فلا يُحتاج فيه إلى شاهد . وأما كونه على معنى الصواب ، فشاهده قول الله عز وجل : (لتعرفنَّهم في لحن القول) (٢٦٦). معناه في صواب القول وصحته ...الخ (٢٦٧) .

وكذلك لفظة (المستخفي) : يكون الظاهر ويكون المتواري . فإذا كان المتواري فهو من قولهم : قد استخفى : الرجل ، إذا توارى . وإذا كان الظاهر فهو من قولهم: خفيتُ الشيء ، إذا أظهرته . من ذلك الحديث المرويّ (ليس على المختفي قَطْع) معناه : ليس على النبّاش . وإنما سمِّي النباش مختفياً لأنه يخرج الموتى ، ويُظهر أكفانهم (٢٦٨) .

ومن ذلك أيضاً لفظة (بعض) : تكون بمعنى بعض الشيء وبمعنى كله . قال بعض أهل اللغة، في قوله الله عز وجل حاكياً عن عيسى عليه السلام (ولأُبيّنَ لكم بعض الذي تختلفون فيه) (٢٦٩) . معناه : كل الذي تختلفون فيه . واحتج بقول لبيد (٢٧٠) :

تَرَّاكُ أمكِنةٍ إذا لم أَرْضَها أوْ يعتلِقْ بعضَ النُّفوسِ حَمَسُها

معناها : أو يعتلق كل النفوس ، لأنه لا يسلم من الحِمام هو القدر .ويتابع ابن الأنباري قائلاً :-وقال غيره : بعض ليس من الأضداد ولا يقع على الكل أبداً : وقال في قوله عز وجل : (ولأُبيّنَ لكم بعض الذي تختلفون فيه) :ما أُحْضُرُ من اختلافكم لأن الذي أَغيب عنه لا أعلمه، فوقعت (بعض) في الآيه على الوجه الظاهر فيها . وقال في قول لبيد أو يعتلق بعض النفوس حِمامها ، أو يعتلق نفسي حمامها ، لأن نفسي هي بعض النفوس " (٢٧١) .

* كما ذكر ابن الأنباري أن من الأضداد : (الحروف) . ولكنها قليلة جداً في كتابه إذا قيست بالأسماء خاصة ، وبالأفعال عامة . ومنها : (لا) : ويكون هذا الحرف بمعنى الجَحْد وهو الأشهر فيها ، ويكون بمعنى الجحد وهو المستغرب عند عوام الناس منها . فكونها بمعنى الجحد لا يُحتاج فيه إلى شاهد . وكونها بمعنى الإثبات ، شاهده قول الله عز وجل :(وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) (٢٧٢) . معناها :أنهم يرجعون . وكذلك قوله عز وجل : (ما منعك ألاّ تسجد)(٢٧٣).

معناه أن تسجد ، فدخلت (لا) للتوكيد . ويستطرد ابن الأنباري إلى أربعة أوجه نحوية في (لا) (٢٧٤).

* ومـــن الحروف التي تدخل في الأضداد عند ابن الأنباري (ما) ، حيث تكـون اســماً للشـــيء ، وتكـــون جحداً له ، وتكون مزيدة للتوكيد ، فيقول القائل : (طعامُكَ ما أكلْتُ) ، وهو يريد : طعامك الذي أكلتَه . فتكون (ما) اسماً للطعام . وتقول : (طعامَك ما أكلتُ) ، وهو يريد : طعامَك أكلتَ ، فيؤكد الكلام بـــ (ما) . وتقول أيضاً (عبد الله ما قام) على جحد القيام . و(عبد الله ما قام) على إثباته، و (مـــا) زيدت للتوكيد . فكون (ما) جحداً لا يحتاج فيه إلى شاهد لشهرته وبيانه . وكونها اسماً شاهده قول الله عز وجل : (ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ) (٢٧٥). وكونهـــا مـــزيدة للتوكيد شاهده قول الله عز وجل " ممّا خطاياهم أغرقوا) (٢٧٦). معـــناه : مـــن خطاياهم . وقوله أيضاً : (فبما نقضِهم ميثاقَهم) (٢٧٧) ، فمعناه : فبنقضهم ميثاقهم"(٢٧٨).

ومـــن الحـــروف التي اعتبرها ابن الأنباري من الأضداد (هل) : فتكون اســـتفهاماً وتكون للتحقيق بمعنى قد ، يقول ابن الأنباري : " تكون استفهاماً عن ما يجهله الإنسان ولا يعلمه ، فيقول : (هل قام عبد الله ؟) ملتمساً للعلم وزوال الشك . وتكـــون (هل) بمعنى (قد) في حال العلم واليقين وزوال الشك . فأما كونها على الاستفهام ، فلا يحتاج فيه إلى شاهد . وأما كونها على معنى (قد) فشاهده قول الله عـــز وجل : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر)(٢٧٩). قال جماعة من أهل العلم ، معناه : قد أتى على الإنسان .

ثـــم يستشـــهد بالحديث الشريف : قال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غـــزواته : (اللهم هل بلَّغت ؟) ، هل بلَّغت ، فمعناه : قد بلَّغت . وقال بعض أهل اللغة إذا دخلت (هل) للشيء المعلوم فمعناه الإيجاب والتأويل " (٢٨٠) .

وبعد وفي ختام بحثنا يجدر بنا أن نذكر أنه مع هذا كله يظل كتاب (الأضداد) لابن الأنباري من أجل ما أُلِّف في هذا الموضوع ، وأكمل المحاولات الجادة لدراسة هذه الظاهرة . فهو أوسع المصنفات في بابه خطراً ، وأوسعها كمّاً وأحفلها بالشواهد وأشـــملها ، للعلل . فلقد أتى على جميع ماأُلِّف قبله وأربى عليه ، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب وشواهد الشعر والحديث والقرآن ، في كثرة بالغة ، و إسهاب كثير ،

مــع عذوبة المورد ، ووضوح التعبير ، وإشراق الدلالة ، واطراد التنسيق وسهولة الأسلوب ، وأعانه على كل ذلك كثرة محفوظة ، ووفرة روايته ، ووضوح الفكرة في عقلــه ، مــع دقة التعليل وقوة الحجاج ، ثم استطرد لشرح الشواهد شرحاً أبان فيه المعنى الدقيق ، وكشف النقاب عن اللفظ الغريب . وقدّم لكتابه ببحث ضاف شامل ؛ انتصر فيه للعرب فيما ورد على ألسنتهم من ألفاظ الأضداد ؛ وأبان عن حكمتهم فيما أرادوا ؛ وعلل كل ذلك تعليلاً دقيقاً أميناً ؛ وبهذا عُدَّ كتاب ابن الأنباري أشمل كتاب و أوفاه في هذا الموضوع ، ولذلك كان وما يزال المصدر الرئيسي الذي يُرجع إليه فــي هــذا الــباب مــن اللغة ، فقد نقل القدماء عنه كثيراً واستشهدوا بآرائه في كل مصــنفاتهم ومعجماتهم اللغوية ، بدءً من تلاميذ ابن الأنباري نفسه وانتهاءً بالبغدادي صاحب " خزانة الأدب " ، كما رجع إليه الباحثون المحدثون في دراساتهم القيّمة عن الأضداد ، وعدّوه أنضج الدراسات القديمة وأشهرها جميعاً .

هوامش البحث :

(١) الزبــيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤م ،ص١٦٨ــ١٧٢.

(٢) الأزهــري تهذيــب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤م ص٧٠ ــ ٧١ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي ، وزارة المعارف العمومية ، القاهرة ١٩٣٦م ص١٨/٣٠٧ .

(٤) انظـر ترجمـته في : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الخانجي القاهرة ١٩٥٤م ، ص١٧١ .

الأزهـري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص١/٢٨. ابن النديم :

الفهرست ، طبعة المطبعة الرحبانية بمصر د . ت . وطبعة فلوجيل ، وطبعة دانشكاه طهران ، تحقيق رضـا تجـدد ، طهران ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م ص١١٢ . أبي البركات الأنباري : نزهة الألبـاء في طبقات الأدباء ، تحقيق د . إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٩م ، ص١٨١ . القفطي أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠م ، ص٣/٢٠١ . السـيوطي المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د . ت ، ص٢/٤١٣ .

(٥) د . عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دار طلاس ١٩٨٦م ، ص٣٤

(٦) نظر نص الفارابي المقتبس في المزهر للسيوطي ص١/٢١١ .

(٧) هناك خطأوقع فيه الفارابي هنا إذ ذكر أن أكثرهم " نصارى يقرأون بالعبرانية ، فمعرفة العبرية فـي القـرن الثاني الهجري ــ الثامن الميلادي كانت مقصورة على رجال الدين اليهود وقلة من المهتميـن بالتراث اليهودي . والصحيح أن أهل الشام كانوا في الإسلام من أبناء الآرامية بلهجاتها المختلفة .

(٨) راجع في ذلك : د . محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء الـتراث واللغات السامية ، والناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة العمرانية للأوفست بمصر ١٩٩١م ، ص٩٥ ــ٩٩ . وانظـر أيضاً : د . عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دار طلاس ١٩٨٦م ، ص٣٤ ــ ٣٨ .

(٩) الخلـيل بـن أحمـد الفراهيدي : كتاب العين مادة (شعب) وفي الجزء المطبوع ص٣٠٦ . تحقيق د . عبد الله درويش ، مطبعة العاني بغداد ١٩٦٧م .

(١٠) نفـس المصدر السابق ، مادة (نشد) ، ومنقولة عنه في لسان العرب لابن منظور ، ص٣/ ٤٢١ ، وفي تاج العروس للزبيدي ، ص٩/٢٢٠ .

(١١) قطرب : الأضداد ، تحقيق هانس كوفلر ، مجلة اسلاميكا ، المجلد الخامس ١٩٣م .

(١٢) محـي الدين توفيق إبراهيم : ابن السكيت اللغوي مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ١٩٦٩م ، ص ٢٤٢ . ولقـد فات مؤلف هذا الكتاب الإشارة إلى كتابي قطرب وأبي الطيب اللغوي فيما عدّه من كتب الأضداد التي وصلت ونشرت ، عدا التي تنشر من الكتب المتأخرة .

(١٣) تـراجع ترجمته في : السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، تحقيق الزيني وخفاجي ، طبع مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥م ، ص٣٨ . الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤م ، ص١٠٦ . أبي الطيب اللغوي : مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص٦٧ . الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص١/٣٠ . ابن النديم الفهرست ، طبعة المطبعة الرحبانية بمصر د . ت . وطبعة فلوجيل ، وطبعة دانشكاه ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١هـ ١٩٧١م ، ص٧٨ ز أبي البركات الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق د . إبراهيم السامرائي مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٩م ، ص٦٠ . القفطي : أنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠م ، ص٣/٢١٩ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٨م ، ص٣/٤٣٩ . السيوطي : المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د . ت . ، ص٢/٤٠٥ .

(١٤) قطرب الأضداد ، ص٢٤٩ .

(١٥)، (١٦) ، (١٧) نفس المصدر السابق ، ص٢٥٠ .

(١٨) نفس المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

(١٩) نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٢٠) نفس المصدر السابق ، ص٢٦١ .

(٢١) نفس المصدر السابق ، ص٢٧٥ .

(٢٢) راجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، ص١٤٣ . مراتب النحويين ، ص٨٦ ، تهذيب اللغة ١/١٨ . الفهرست ، ص٩٨. نزهة الألباء ، ص٦٥ . وفيات الأعيان ، ص٥/٢٢٥ . المزهر ، ص٢/ ٤١٠ . تاج العروس ، ص١/٣٥ .

(٢٣) ابن الدهان : الأضداد في اللغة ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، مطبعة دار التضامن ، بغداد ١٩٦٣م ، ص٩١ ، ٩٢ .

(٢٤) الأصمعي : الأضداد ، ص٢٨ ، ٥٢ .

(٢٥) ابن السكيت : الأضداد ، ص١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٢٦) يراجع فهرس الكتاب .

(٢٧) يراجع فهرس الكتاب .

(٢٨) راجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ، ص٥٢ . طبقات النحويين واللغويين ص١٩٢ مراتب النحويين ، ص٤٤ . تهذيب اللغة ، ص١٤/١ . الفهرست ، ص٧٩ . نزهة الألباء ، ص ٦٨ . وفيات الأعيان ، ص٣٢٣/٤ . معجم الأدباء ، ص١٩ /١٥٤ . المزهر ، ص٤٠٢/٢ . شذرات الذهب ، ص٢٤/٢ . تاج العروس ، ص٣٣/١ . تاريخ بروكلمان ، ص١٤٢/٢ .

(٢٩) راجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ، ص٤٥ . طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٨٣ . مراتب النحويين ، ص٤٦. تهذيب اللغة ، ص١٤/١ . الفهرست ، ص٨٢ . نزهة الألباء ، ص٧٤ . تاريخ بغداد ، ص٤١٠/١٠ . أنباه الرواة ، ص١٩٧/٢ . مروج الذهب ، ص١١٢/٣ . وفيات العيان ، ص٢ / ٣٤٤ . المزهر ، ص٤٠٤/٢ . بغية الوعاة ، ص٣١٢ . شذرات الذهب ، ص٣٦/٢ . تاج العروس ، ص٣٣/١ . تاريخ بروكلمان ١٤٧/٢ .

(٣٠) انظر في ذلك : د . رمضان عبد التواب في مجلة المكتبة ج٥٥ ص٦ وما بعدها . وانظر محي الدين توفيق إبراهيم في مجلة كلية الشريعة ١٩٦٨م ، ص٢٧١ ومابعدها . وحسين محمد في مجلة اللسان العربي ج٩ ١٩٧٢م ، ص١١٠ وما بعدها .

(٣١) يُراجع في ذلك د . محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ، ص٣٦٧ ت٣٧٨ .

(٣٢) راجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، ص٢٢١ . مراتب النحويين ، ص٩٥ . تهذيب اللغة ، ص٢٣/١ . الفهرست ، ص١٠٨ . نزهة الألباء ، ص١٢٢ . تاريخ بغداد ، ص١٤ /٢٧٣ . معجم الأدباء ، ص٢٠ . وفيات الأعيان ، ص٤٣٨/٥ . النجوم الزاهرة ، ص٣١٩/٢ . المزهر ، ص٤١٢/٢ . بغية الوعاة ، ٤١٨ ، شذرات الذهب ، ص١٠٦/٢ . تاريخ بروكلمان ص ٢٠٥/٢ .

(٣٣) راجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، ص٢١٧ . مراتب النحويين ، ص٩٣ . تهذيب اللغة ، ص١٩/١ . الفهرست ، ص١٠٦ . نزهة الألباء ، ص٩٣ . أنباة الرواة ، ص١٢/٣ معجم الأدباء ، وفيات الأعيان ، ص٢٢٥/٣ . المزهر ،ص٤١١/٢. بغية الوعاة ، ص٣٧٦ . شذرات الذهب ، ص٢/ ٥٤ . تاج العروس ، ص٣٦/١ . تاريخ بروكلمان ، ص١٥٥/٢ . الأعلام، ص١٠/٦ .

(٣٤) السيوطي : المزهر ، ص٥٨١/١ ، ٢٤٩/٢ .

(٣٥) راجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ، ص٦٥. طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٠٦ . مراتب النحويين ، ص٧٥ . نزهة الألباء ،ص١١٩ . أنباة الرواة ، ص١٣٦/٢ . المزهر ، ٤٠٧/٢ . الأشباه والنظائر ، ص٢٢/٣ . بغية الوعاة ، ص٢٩٠. تاج العروس ، ص٣٤/١ . تاريخ بروكلمان ، ص١٦٢/٢ . معجم المؤلفين ، ص١٤٣/٦.

(٣٦) المبرد : الكامل، ص٢٥٥/١ .

(٣٧) نفس المصدر السابق ، ص٢٢٧/٣.

(٣٨) نفس المصدر السابق ، ص٢٢٨/٣ .

(٣٩)فهرسة ابن خير الأشبيلي ، تحقيق زيدين وطرغوة ، نشر المكتب التجاري ومكتبة المثنى ١٣٨٢هـ ص٣٨٤.

(٤٠) المبرد : الكامل ،ص٢٥٥/١ ، ٢٢٧/٣ ــ٢٢٨ .

(٤١) المبرد: ما اتفق لفظه واختلف معناه ،ص٥ .

(٤٢) أبو الطيب اللغوي : الأضداد (فهرس أعلام الكتاب) .

(٤٣) ارجع إلى ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ، ، ص٧٠ طبقات النحويين واللغويين ، ص١٠٠ .مراتب النحويين ، ص٨٠ . تهذيب اللغة ، ص٢٢/١.نزهة الألباء ،ص١٢٩. أنباة الرواة ،ص٥٨/٢.وفيات الأعيان ،ص١٥٠/٢. معجم الأدباء، ص٢٦٣/١١. النجوم الزاهرة ،ص٣٣٢/٢. المزهر ،ص٤٠٨/٢. بُغية الوعاة ،ص٢٦٥. شذرات الذهب ،ص١٢١/٢. تاريخ بروكلمان،ص١٥٩/٢.

الأعلام ، ص ٣١٠/٣.

(٤٤) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص٧٢ .

(٤٥)راجع ترجمته في:طبقات النحويين واللغويين،ص٢٠٠.مراتب النحويين،ص٨٤.تهذيب اللغة،ص٣٠/.الفهرست،ص١١٥.نزهة الألباء،ص١٤٣.أنباة الرواة،ص١٤٣/٢.وفيات الأعيان،ص٢٤٦/٢.النجوم الزاهرة ،ص٧٥/٣. المزهر،ص٤٠٩/٢.بغية الوعاة ، ص٢٩١.

شذرات الذهب ، ص١٦٩/٢.تاريخ بروكلمان،ص٢٢٢/٢.الأعلام ،ص٢٨٠/٤ .

(٤٦) راجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ، ص٨٠ . مرتب النحويين، ص١٣٧ .الفهرست ،ص٧٩ . أنباة الرواة ، ص٣٨٣/٢.

معجم الأدباء ، ص١٦٨/١٢. بغية الوعاة ، ص ٣٢٤ .

(٤٧)راجع ترجمته في:طبقات النحويين واللغويين،ص١٥٥.مراتب النحويين ،ص٩٥.تهذيب اللغة ص٢٦/١.الفهرست،ص١١٠.نزهة الألباء نص١٥٧. أنباة الرواة، ص١٣٨/١.وفيات الأعيان،ص٨٤/١. مروج الذهب،ص٢١٦/٤.معجم الأدباء،ص١٠٢/٥.النجوم الزاهرة،ص١٣٣/٣.الأشباه والنظائر،ص٢١/٣.المزهر، ص٤١٢/٢.بغية الوعاة،ص١٧٢.شذرات الذهب ،ص٢٠٧/٢.تاريخ بروكلمان ، ص ٢١٠/٢ . الأعلام ٢٥٢/١ .

(٤٨) فهرسة ابن خير الأشبيلي ، ص ٣٨١ .

(٤٩) السيوطي : المزهر ، ص ٣٩٣/١ .

(٥٠) الأصمعي : الأضداد ، ص ٢٨ ، ٥٢ .

(٥١) ابن السكيت : الأضداد ، ص ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٥٢) يُراجع فهرس كتاب الأضداد لابن الأنباري . (٥٣) السيوطي : المزهر ، ص٣٩٣/١ .

(٥٤) انظر : د . محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، ط١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ،ص٢٤٥ ــ ٢٤٦ .

(٥٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١-٢ .

(٥٦) حسين محمد : اللسان العربي المغربية ، ص٩٦/٨ ، في ١٩٧٢م .

(٥٧) انظر : د . محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، ص٢٤٧ .

(٥٨) ابن فارس : الصاحبي ، نشر المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ١٣٢٨هـ -١٩١٠م ، ص٦٦ .

(٥٩) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٦٠) نفس المصدر السابق ، ص٦٦-٦٧ .

(٦١) ابن سيده : المخصص طبعة بالأوفست ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت د . ت ، ص٢٥٩/١٣ .

(٦٢) نسبه صاحب اللسان (١٢٤/١٣) إلى لبيد ، وليس في لاميته التي مطلعها :

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل

وهو في أضداد الأصمعي ، ص٩ وأضداد ابن السكيت ، ص ١٦٧ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه ، ص٣ من غير نسبة .

(٦٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢ .

(٦٤) الحارث ابن حلزة : ديوان الماسة لأبي تمام ، شرح المرزوقي ، ص٢٠٣ . وهناك البيت الأول قبل الثاني

(٦٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣ .

(٦٦) نفس المصدر السابق ، ص١٣ .

(٦٧) الهمذاني : الألفاظ الكتابية ، تحقيق لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩١٣م ، ص٢٩٦-٢٩٧ .

(٦٨) سورة فصلت : الآية ٩ .

(٦٩) سورة مريم : الآية ٨٢ .

(٧٠) الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٠ م الجزء الثامن ص ٣١٠ .

(٧١) الفيومي (أحمد محمد بن علي الفيومي المقرّى) : المصباح المنير ، المكتبة العصرية ، صيدا ، الطبعة الثانية ١٩٩٧م ، ص١٨٦ .

(٧٢) سعيد الخوري الشرنوبي : أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، مطبعة مرسلي اليسوعية . بيروت ١٨٨٩م ، ص٦٧٩ .

(٧٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١ .

(٧٤) نفس المصدر السابق : ص ١٣ .

(٧٥) نفس المصدر السابق : ص٣ــ٤ .

(٧٦) نفس المصدر السابق : ص٢ .

(٧٧) نفس المصدر السابق : ص٦ .

(٧٨) نفس المصدر السابق : ص٦-٧ .

(٧٩) انظر : المبرد : ما اتفق لفظه واختلف معناه ، ص٢-٣ . ابن فارس : الصاحبي ، ص٩٦ . السيوطي المزهر ٣٨٨/١ . قطرب : الأضداد ، ص٢٤٤ .

(٨٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٧١ (خَذَمت وأخذَمت) .

(٨١) نفس المصدر السابق ، ص٤٠٠ (بدن وبدّن) .

(٨٢) نفس المصدر السابق : ص٤٠٦ (نَجْد ونَجِد و مَنْجُود و نَجِيد) .

(٨٣) نفس المصدر السابق : ص٣٩٤ (الطاحي) .

(٨٤) نفس المصدر السابق : ص ٣٧٣ (جَمّرت المرأة) .

(٨٥) نفس المصدر السابق : ص ١٠٢ (طَرَبَ) .

(٨٦) ابن أبي سرور : القول المقتضب ، تحقيق إبراهيم سالم ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص١٦ .

(٨٧) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٠٢ .

(٨٨) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٠٢ .

(٨٩) د . إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ، دار الرائد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١٠٠ .

(٩٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١١٨ .

(٩١) نفس المصدر السابق : ص١٨٩ .

(٩٢) نفس المصدر السابق : ٤٠٢ .

(٩٣) نفس المصدر السابق : ٢١١ .

(٩٤) نفس المصدر السابق : ١٩٥ .

(٩٥) نفس المصدر السابق : ص١٩١ .

(٩٦) نفس المصدر السابق : ١١٧ .

(٩٧) البغدادي : خزانة الأدب ، مطبعة بولاق ، القاهرة د . ت ، ص٣/٣٥٦ ، ٤/٧٦ .

(٩٨) نفس المصدر السابق ، ص١-٢ .

(٩٩) السيوطي : المزهر ، ص١/٣٩٦ .

(١٠٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٤٠ .

(١٠١) د . إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ١٧ .

(١٠٢) نفس المصدر السابق : ص١٦ .

(١٠٣) نفس المصدر السابق : ص٤٦ .

(١٠٤) انظر : ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٤٠ . ابن فارس : الصاحبي ، ص١٥ . ابن جني : الخصائص ، ١/٣٩٥ .

(١٠٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١١- ١٢ .

(١٠٦) نفس المصدر السابق : ٢١٦ .

(١٠٧) نفس المصدر السابق : ص٩١ ــ٩٢ .

(١٠٨) نفس المصدر السابق : ص١١٤ .

(١٠٩) نفس المصدر السابق : ص١٧٠ .

(١١٠) نفس المصدر السابق : ص٢٩٣ .

(١١١) نفس المصدر السابق : ص ٢٩٤ .

(١١٢) نفس المصدر السابق : ص٤٢٠ .

(١١٣) نفس المصدر السابق : ص٣١٩ .

(١١٤) نفس المصدر السابق : ص١٨ .

(١١٥) نفس المصدر السابق : ص ٨ .

(١١٦) الأصول للخضري ، ص١٧٦ عن مجلة مجمع اللغة العربية الملكي٢/ ٢٤٣ .

(١١٧) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٧ .

(١١٨) الأصمعي : الأضداد ، ص ٥ . ابن السكيت : الأضداد ، ص١٦٤ . ابن الأنباري : ص٢٧ ــ ٢٨ .

(١١٩) ابــن الأنباري : الأضداد ، ص٨ ، وكذلك ص٨٤ . وانظر كذلك : الثعالبي : فق اللغة ص ٤٦٨ .

(١٢٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١١٤ .

(١٢١) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١٢٢) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١٢٣) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١٢٤) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١٢٥) وفي إطار ظاهرة التداخل على جهة الاتساع مما ينتمي إلى الألفاظ التي تغيرت دلالتها وانتقلت لمجال آخر لعلاقة مكانية أو سببية بين المدلولين ، انظر نفس المصدر السابق : (الجَوْن) : للأبيض والأسود ، ص١١١ . و (الصَرخ) : المغيث والمستغيث ، ، ص ٨٠ . و (الجَلَل) : للعظيم والحقير ، ص٨٩ . و (الوَراء) : للخلف والقدّام ، ص ٦٨ . و (الطرب) : للفرح والحزن ، ص١٠٢ . و (دُرْع) : لليالي السود الصدور البيض الأعجاز من آخر الشهر ولليالي البيض الصدور السود الأعجاز من أول الشهر ، وللغنم السود البيض المقادم السود المآخر وللغنم السود المقادم البيض المآخر ، ص ٢٦٥ . الذَّفر) : للرائحة الطيبة والرائحة المنتنة ، ص٨٨

(١٢٦) نفس المصدر السابق : ص١٦٤ .

(١٢٧) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١٢٨) ابن دريد : الاشتقاق ، ص١١٧ .

(١٢٩) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٦٢ .

(١٣٠) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١٣١) الثعالبي : فقه اللغة ، ص٥٠ .

(١٣٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٤٨ .

(١٣٣) أبو العميثل الأعرابي : المأثور ، تحقيق فريتز كرنكو ــ لندن ١٩٢٥م ،ص٢٧ .

(١٣٤) ابن دريد : الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م ، ص٤٠٥ .

(١٣٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢١٨ .

(١٣٦) نفس المصدر السابق : ص٣١٥ .

(١٣٧) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١٣٨) نفس المصدر السابق : ص٢٠٣ .

(١٣٩) وفي إطار هذه الطائفة التي طرأ عليها تغير فتغير مجال دلالتها ، انظر أيضاً : (المائل) : للقائم المنتصب وللاطيء بالأرض ، ابن الأنباري ، ص٢٨٨ . و (الشعب) : للجمع والتفريق أو للإصلاح والإفساد ، ص٥٣ . و (الزُبيَة) لحفيرة يصاد بها الأسد ، والحفيرة تحفر في أماكن

عالية ، ص٣٣٨ . و (الخجل) : للمرح والنشاط وللكسل والخمول ، ص١٥٢ . و (زكنتُ و (ظننتُ) و (حسبتُ) و (خلتُ) و (رجوتُ) : التي تستعمل كلها للشك واليقين ، ص١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٦ .

(١٤٠) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي : تحقيق عبد الله البستاني ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٠١ م ، ص ٢٤١ .

(١٤١) السيوطي : الأشباه والنظائر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ ، ص١/١٩٥ .

(١٤٢) د . محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، ص١٦٦ ــ ١٦٧ .

(١٤٣) د . إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ، الرائد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١٠٣ .

(١٤٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٣٣ .

(١٤٥) نفس المصدر السابق : ص٢٨٤ .

(١٤٦) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص١٣٧ .

(١٤٧) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٦٦ .

(١٤٨) نفس المصدر السابق : ص١٠٥ .

(١٤٩) نفس المصدر السابق : ص١٠٦ . وعن الأصمعي في التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ، ص١١٦ .

(١٥٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٠٦ . مجالس ثعلب ، ص١/ ١٧٠ . حمزة الأصفهاني : التنبيه على حدوث التصحيف ، ص١١٧ . أبو عبيد البكري : سمط اللآلي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦م ، ص١/٤٩٠ .

(١٥١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٠٦ .

(١٥٢) نفس المصدر السابق : ص١٠٥ . وعن الأصمعي في التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ، ص١١٦ .

(١٥٣) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤م ، ص١٤٢ . مجالس ثعلب ص١/١٧٠ .

(١٥٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٠٥ . وعن ابن الأعرابي في مجالس ثعلب ، ص/١٧٠ . والتنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ، ص١١٦ وما بعدها . ولسان العرب لابن منظور ، ص٥/ ٣٩٣ .

(١٥٥) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص٢/٥٥٨ .

(١٥٦) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١١٦ .

(١٥٧) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(١٥٨) نفس المصدر السابق ، ص١٨٥ .

(١٥٩) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص١٣٨ .

(١٦٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٣١ .

(١٦١) الزمخشـــري : الفالق في غريب الحديث ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥ م .

(١٦٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٥٤ .

(١٦٣) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص١٢٧ .

(١٦٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٥٧ .

(١٦٥) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(١٦٦) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة ص٥٤ .

(١٦٧) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

(١٦٨) سورة الدخان : الآية ٤٩ : ابن الأنباري ، ص٢٥٨ .

(١٦٩) سورة هود : الآية ٨٧ : ابن الأنباري ، ص٢٥٨ .

(١٧٠) ابن الأنباري : ص٣٤٩ .

(١٧١) انظر مقالة حسين محمد في اللسان العربي : ١٢٠/٨ .

(١٧٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢ .

(١٧٣) نفس المصدر السابق : ص٣-٢ . وانظر في ذلك أيضاً عند ابن الأنباري : (ظَنَّ) ، ص٣ . و (يـتلمظان) و (يكتسبان) ، و (يقوم عبد الله) ، و (جُدَّ ثَدْياها) ، و (يَهِرّ) و (يَدِبّ) ، ص٥-٤ . و (غَسَق) ، ص٥ .

(١٧٤) نفس المصدر السابق :ص ٣٦٨ .

(١٧٥) نفس المصدر السابق : ص١٥٣ .

(١٧٦) نفس المصدر السابق : ص١٩٩ .

(١٧٧) نفس المصدر السابق : ص١٤٠ .

(١٧٨) نفس المصدر السابق : ص٥٦ .

(١٧٩) د . مصـــطفى جـــواد : المباحث اللغوية في العراق ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ص٨ .

(١٨٠) نفس المصدر السابق : ص٤٢ .

(١٨١) نفس المصدر السابق : ص٤٣ .

(١٨٢) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(١٨٣) السيوطي : الأشباه والنظائر ، ص١/١٩١ .

(١٨٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٤٩ .

(١٨٥) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(١٨٦) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٧٥ .

(١٨٧) سورة الأنعام : الآية ٩٤ . وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عباس وحمزة .

(١٨٨) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٠٨ .

(١٨٩) نفس المصدر السابق : ص٢ .

(١٩٠) سورة الزخرف : الآية ٦٨ .

(١٩١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٦٩ ــ ٣٧٠ .

(١٩٢) نفس المصدر السابق : انظر مثلاً ص٤٢٨ .

(١٩٣) نفس المصدر السابق : انظر أيضاً ص٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ .

(١٩٤) نفس المصدر السابق : ص٢٨٦ ــ ٢٨٧ .

(١٩٥) انظر مثلاً : نفس المصدر السابق : ص٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٥ .

(١٩٦) ابن السكيت : الحروف ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص٤٤ .

(١٩٧) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٢٣ .

(١٩٨) نفس المصدر السابق : ص٣١٩ .

(١٩٩) نفس المصدر السابق : ص٣١٨ .

(٢٠٠) نفس المصدر السابق : ص٣٢٠ .

(٢٠١) نفس المصدر السابق : ص٣٢٨ .

(٢٠٢) نفس المصدر السابق : ٣٣٠ .

(٢٠٣) نفس المصدر السابق : ٣٣١ .

(٢٠٤) نفس المصدر السابق : ص٣٤٢ .

(٢٠٥) نفس المصدر السابق : ص٣٤٥ .

(٢٠٦) نفس المصدر السابق : ص٣٤٦ .

(٢٠٧) نفس المصدر السابق : ص٣٤٧ .

(٢٠٨) نفس المصدر السابق : ص٣٨٢ .

(٢٠٩) نفس المصدر السابق : ص٣٧٧ .

(٢١٠) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص٢/٧١١ -٧١٩ .

(٢١١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٤٤ .

(٢١٢) نفس المصدر السابق : ص١٥٢ .

(٢١٣) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص٢/ ٧٢٠ - ٧٣٢ .

(٢١٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٢٩ .

(٢١٥) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(٢١٦) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(٢١٧) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(٢١٨) نفس المصدر السابق : ص٢٨٥ .

(٢١٩) د . إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص٢٠٦ . وانظر الشواهد على ذلك في الأضداد لابن الأنباري ، ص٢٨٥ -٢٨٦ .

(٢٢٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٦٣ .

(٢٢١) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٢٢٢) البغدادي : خزانة الأدب ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ص٣/٣٥٦ ، ٤/ ٧٦ .

(٢٢٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٣ .

(٢٢٤) الأضـــداد في اللغة ، تأليف : تاج اللغة محمد بن القاسم محمد ابن بشار الأنباري النحوي - المطبعة الحسينية المصرية بكفر الطماعين بمصر ــ أواخر شهر شعبان ١٣٢٥هجرية .

(٢٢٥) الأضداد : محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠م . وصدر منها طبعة أخرى عن المكتبة العصرية ، صيد ــ بيروت ١٤٠٧هـ ــ١٩٨٧م .

(٢٢٦) نفس المصدر السابق : ص٢٣٣ ــ٢٣٥ .

(٢٢٧) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي ، دار المعارف بمصر ١٩٦١م ص١٨٠ .

(٢٢٨) سورة محمد : الآية ٣٠ .

(٢٢٩) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٣٨ .

(٢٣٠) يوهـــان فك : العربية ، تعريب د . عبد الحليم النجار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥١م ، ص٢٤٣ .

(٢٣١) في كتابه :

Giese,Untersuchungen Uber Addad auf Grund Von stellen in Altarabischen Dichtern. الذي نشره في برلين عام ١٨٩٤م : مجلة المجمع الملكي ٢/٢٣٠ .

(٢٣٢) د . إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص٢١٥ .

(٢٣٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٥٠ ــ ٣٥١ .

(٢٣٤) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٢٣٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

(٢٣٦) نفس المصدر السابق : ص٩١ ــ ٩٢ .

(٢٣٧) نفس المصدر السابق : ص٢٣٩ .

(٢٣٨) المفضليات : ص١١٩ .

(٢٣٩) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٤١٥ .

(٢٤٠) سورة الملك : الآية ١١ .

(٢٤١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٤١٥ ــ٤١٦ .

(٢٤٢) ديوان عبيد بن الأبرص : ص١٣ .

(٤٣٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٤١٦ .

(٢٤٤) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة.

(٢٤٥) نفس المصدر السابق : ص٦ .

(٢٤٦) نفس المصدر السابق : ص٦ــ٧ .

(٢٤٧) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحات .

(٢٤٨) نفس المصدر السابق : ص٣٥٦ .

(٢٤٩) نفس المصدر السابق : ٣٥٦ ــ ٣٥٧ .

(٢٥٠) انظر : نفس المصدر السابق : ص٣٧١ (خَذَمَت و أَخْذَمَت) .

(٢٥١) انظر : نفس المصدر السابق : ص٤٠٠ (بَدَن و بُدْن) .

(٢٥٢) انظر : نفس المصدر السابق : ص٤٠٦ (نَجْد ونَجِد ومَنْجود و نَجِيد) .

(٢٥٣) انظر : نفس المصدر السابق : ص ٣٩٤ (الطاحي) .

(٢٥٤) نفس المصدر السابق : ص٣٧٢ ــ٣٧٣ .

(٢٥٥) ديوانه : ص٢٨ .

(٢٥٦) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٩١ ــ٢٩٢ .

(٢٥٧) ديوان ذي الرمة : ص٥٣٣ . انشلالها : طردها .

(٢٥٨) ابن الأنباري : الأضداد ، ص٣٧٩ .

(٢٥٩) سورة طه : الآية ١٥ .

(٢٦٠)سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢٦١) المفصليات : ص١٤٠ : تحليل تحلة قسم .

(٢٦٢) هو امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ص١٨٦ .

(٢٦٣) ابن منظور : لسان العرب ، ص١٨/٢٤٤ .

(٢٦٤) سورة الإسراء : الآية ٩٧ .

(٢٦٥)ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٧٥-١٧٨ .

(٢٦٦)سورة محمد : الآية ٣٠ .

(٢٦٧)ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢٣٨-٢٤٦ .

(٢٦٨)نفس المصدر السابق : ص٧٦ .

(٢٦٩)سورة الزخرف : الآية ٦٣ .

(٢٧٠)من المعلقة ، ص١٥٥ ، بشرح التبريزي .

(٢٧١)ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٨١ ــ١٨٢ .

(٢٧٢)سورة الأنبياء الآية ٩٥ .

(٢٧٣)سورة الأعراف : الآية ١٢ .

(٢٧٤)ابن الأنباري : الأضداد ، ص٢١١ ــ ٢١٦ .

(٢٧٥)سورة النحل : الآية ٩٦ .

(٢٧٦)سورة نوح : الآية ٢٥ .

(٢٧٧)سورة النساء : الآية ١٥٥ .

(٢٧٨)ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٩٥ ــ ١٩٦ .

(٢٧٩) سورة الإنسان : الآية ١ .

(٢٨٠) ابن الأنباري : الأضداد ، ص١٩١ ــ ١٩٥ .

المراجع العربية والأجنبية :

أولاً : المراجع العربية :

١- د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٦١ م .

- دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٣.
- طرق تنمية الألفاظ في اللغة، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، ١٩٦٦ م – في اللهجات العربية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة ١٩٦٥ م – من أسرار اللغة، المطبعة الفنية الحديثة، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦٦م.

٢- إبراهيم خورشيد وآخرون : نقلوا إلى العربية : دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب القاهرة د.ت.

٣- د. إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي، دار الراشد للطباعة، القاهرة ١٩٦٦م.

٤- ابن أبي السرور : القول المقَضب، تحقيق إبراهيم سالم، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٢م.

٥- ابن الأثير : المرصّع، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩١ – ١٩٧١م.

٦- ابن الأنباري (محمد بن القاسم): الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠م.

٧- ابن الجزري : النشر في القراءات العشر تحقيق على محمد الصبّاغ، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة د.ت.

٨- ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢ – ١٩٥٦ م – سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وجماعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤ م.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، تحقيق علي النجدي وآخرين، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٩- ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٢٥ هـ ١٣٢٧ هـ

١٠- ابن دريد : الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .

- جمهرة اللغة، طبعة حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .

- الملاحن، تحقيق إبراهيم اطفيش الجزائري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٧ هـ.

١١-ابن الدهان : الأضداد في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة دار التضامن، بغداد ١٩٦٣ م.

١٢- ابن رشيق القيراوني : العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، القاهرة ١٩٥٥ م.

١٣- ابن السراج : الأصول في النجوم، تحقيق عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

١٤-ابن السكيت : الأضداد، تحقيق أوغست هفنر، المطبعة الكاثولوكية، بيروت ١٩١٣م.

- الألفاظ ومعه تهذيب الخطيب التبريزي . المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٥م.

- إصلاح المنطق، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٦ م.

- الحروف : تحقيق د. رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٦٩ م.

١٥- ابـن سيده: المخصص، طبعة بالأوفست، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت د.ت.

١٦- ابن الشجري : الأمالي الشجرية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٤٩ هـ .

١٧- ابن فارس : الأتباع والمزاوجة، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة ١٣٦٦هـ - ١٨٤٧م - الصـاحبي، نشـر المكتـبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة ١٣٢٨هـ ١٩١٠م.

- فتـيا فقيه العرب، تحقيق د. حسين علي محفوظ، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨م.
- مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م.

معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٩٢٢ هـ - ١٩٧٢م.

١٨- ابـن قتيـبة : أدب الكاتـب، تحقيـق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ.

- أسماء الأضداد، المنسوب للثعالبي، مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء بالنجف.
- تـأويل مشكل القرى،، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤ م.
- عيون الأخبار،طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٩ هـ.
- المسـائل والأجوبـة،نشـر مكتـبة القدسـي، مطبعـة السعـادة، القاهـرة ١٣٤٩ هـ.
- المعاني الكبير، تحقيق سالم الكرنكوي، حيد أباد الدكن ١٩٤٥ - ١٩٥٠ م.

١٩- ابن منظور: لسان العرب، نشر دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٥٥ م .

٢٠- ابن النديم : الفهرست، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر د.ت. وطبعة فلوجل. وطبعة دانشكاه طهران، تحقيق ر ضا تجدد، طهران ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م.

٢١- أبو بكر السجستاني : غريب القرآن، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٩٦٣ م.

٢٢- أبو حاتم السجستاني : الأضداد، تحقيق أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٣ م.

٢٣- أبو زيد الأنصاري : النوادر في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيالعلمي بدمشق ١٣روت ١٨٩٤ م.

٢٤- أبو الطيب اللغوي : الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م.

- الأتباع، تحقيق عز الدين التنوخي نشر المجتمع ٨٠ هـ - ١٩٦١ م.

- الأضداد في كلام العرب، تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٣ م.

- مراتب النحويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٥ م.

٢٥- أبو عبيد البكري : سمط اللآلىء في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦ م.

٢٦- أبو عبيد القاسم بن سلام: الغريب المصنف، مخطوطة بمكتبة النجف بالعراق.

٢٧- أبو عبيدة : مجاز القرآن، تحقيق د. فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م.

٢٨- أبو علي القالي:الأمالي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م.

- البارع، تحقيق هاشم الطعان، رسالة ماجستير، بغداد ١٩٧٢ م.

٢٩- أبو العميثل الأعرابي : المأثور، تحقيق فريتز كرنكو - لندن ١٩٢٥ م.

٣٠- د. أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربي في التراث، الدار العربي للكتاب، طرابلس ليبيا ١٩٨٣ م.

٣١-أحمد بن مصطفى اللبابيدي : لطائف اللغة، درا الطباعة العامرة . د.ت.

٣٢- احمد مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٣٣- الأخفش: معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥ م.

٣٤- الأزهري : تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة ١٩٦٤ م.

٣٥- د. إسرائيل ولنسون: تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩م.

٣٦- الإستانداني : معاني الشعر، تحقيق عز الدين التنوخي، وزارة الثقافة والسياحة، دمشق ١٩٦٩ م.

٣٧- الأصمعي : الإبل، تحقيق د. أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٣ م .

- الأضداد، تحقيق أوفست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٣م.

٣٨- الآمدي (ابو القاسم الحسن بن بشر): المؤلف والمختلف، طبعة القاهرة د.ت.

٣٩- أوغست هفنر: ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي والسجستاني وابن السكيت ويليها ذيل في الأضداد للصفاني دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ١٩١٢م.

٤٠ - البكري: التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦ م.

٤١- البطليوسي (أبو محمد عبد الله السيد): الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق عبد الله البستاني، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩٠١ م.

٤٢- ثعلب : المجالس، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٤٨.

٤٣- الثعالبي: أسماء الأضداد، المنسوب للثعالبي، مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء، النجف بالعراق.

- فقه اللغة وسر العربية، ونشر المكتبة التجاري الكبرى، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة ١٩٣٨م.

- يتيمة الدهر، طُبع بنفقة علي محمد عبد اللطيف، مطبعة الصاوي القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤م.

٤٤- الجوهري : الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٥٦ م.

٤٥- حجازي (محمود فهمي): علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ،مطبعة العمرانية للأوفست، القاهرة ١٩٩١ م.

٤٦- الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص، طبعة بالأوفست عن طبعة لايبزك، مكتبة المثنى بغداد د.ت.

٤٧- د. حسين نصار : الأضداد، مقالة مطبوعة بالرونيو لطلبة الدراسات العليا في القاهرة د.ت.

٤٨- حمزة الأصفهاني : التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق الشيخ حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٧ م.

٤٩- الخطيب التبريزي : شرح مقصورة ابن دريد، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٦١م.

٥٠- الخفاجي: شرح درة الغواص، نشر نظارة المعارف، مطبعة الجوائب، قسطنطسنية ١٢٩٩ هـ.

٥١- الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين، تحقيق د. عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧م.

٥٢- ديـوان الهذليـن، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.

٥٣- الرضـى : شـرح الرضى على شافية ابن الحاجبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة د.ت.

٥٤- د. رمضـان عـبد التواب : فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠.

٥٥- الزبـيدي : تـاج العـروس، وزارة الإرشاد والأنباء، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ - ١٩٧١١ م.

٥٦ - الزجاجـي (أبـو القاسـم عبد الرحمن بن إسحاق): الأمالي، طبعة القاهرة، ١٣٣٤ هـ.

٥٧ - الزمخشـري: أسـاس الـبلاغة، تحقـيق عبد الرحيم محمود / مطبعة أولاد أورثاند، القاهرة ١٩٥٣ م.

- الكشاف، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٦٥ هـ .
- المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت ١٣٢٣ هـ.

٥٨- السـنهوري: شرح مثلثاتقطرب، تحقيق أوغست هفنر ولويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٤م.

٦٠ - د. السيد يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربية، بيروت ١٩٦٩ .

٦١- السيرافي : أخبار النحويين البصريين، تحقيق الزيني وخفاجي، طبعة مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥م.

٦٢- السـيوطي: الأشـبـاه والنظائـر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيـدر أبـاد الدكـن ١٣٥٩ هـ.

- بغـية الوعـاة في طبقات اللغويين والنحاة، تصحيح أمين الخانجي / مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٦ هـ .
- المزهـر فـي علـوم اللغـة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة د.ت.

- همع الهوامع بشرح جميع الجوامع، مصر ١٣٢٧ هـ .
٦٣- شوقي ضيف : المدارس النحوية، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٨ م.
٦٤- الصفاني : الأضداد، تحقيق أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٣
- التكملة والذيل والصلة، تحقيق عبد العليم الطحاوي وجماعة، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠.
٦٥- الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن، مطبعة البابي الحلبي بمصر، القاهرة ١٩٥٤م
٦٦- د. عبد الحميد الشلقاني : رواية اللغة، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م.
٦٧- عبد الله العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب، المطبعة العصرية بمصر د.ت.
٦٨- العبكري : التبيان في إعراب القرآن، تحقيق محمد علي البخاري ،مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة د.ت.
٦٩- علي بن حمزة : التنبيهات، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٧ م.
٧٠- د. علي عبد الواحد وافي : علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة د.ت.
- فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة د.ت.
- اللغة والمجتمع، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة١٩٤٦ م.
- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، دار الفكر العربي، القاهرة ١٨٤٧ م.
٧١- الفخر الرازي : التفسير الكبير، المطبعة البهية بمصر د.ت.
٧٢- الفراء (أبو زكريا بن زياد) : معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية ١٩٥٥ (الجزء الأول)، والدار المصرية للتأليف والترجمة، مطبعة سجل العرب، القاهرة د.ت. (الجزء الثاني).
٧٣- فندريس : اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠ م.

٧٤- الفيروزأبادي:بصائر ذوى التمييز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٩٦٥م.
٧٥- قطرب:الأضداد، تحقيق هانز كوفلر، مجلة إسلاميكا، المجلد الخامس ١٩٣١م.
٧٦- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تعريب د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦١م.
٧٧- المبرد :الفاضل، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- الكامل، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة د.ت.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
٧٨- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤هـ.
٧٩- محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية دار الفكر، بيروت ١٩٦٨م.
٨٠- محي الدين توفيق إبراهيم : ابن السكيت اللغوي، مطبعة دار الجاحظ .
٨١- د. مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية وتطجورها، معهد الدراسات العربية العالي، القاهرة ١٩٦٣ م.
٨٢- نشوان الحميري :شمس العلوم، تحقيق ك.و. سنز ستين، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥٣ م.
٨٣- هاشم الطعان : تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨ م.
٨٤- الهمذاني: الألفاظ الكتابية، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٣ م .
٨٥- د. يحى كمال : التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، طبعة بيروت ١٩٧٢ م.

ثانياً المراجع الأجنبية :

(1)) Afnan, S.M. A philosophical lexicon in Persian and Arabic Beirut 1969.
(2) Al. Toma, S.J. Thhe problem of diglossia in Arabic. Cambridge, Mass 1969.
(3) Al- Yasin IZZ – al – din . The Lexical relations between Ugaritic and Arabic. New York 1952.
(4) Ansaldi, C. Il Yemen nell a storiae nella Leggenda . Roma 1933.
(5) Beeston, A.F.L, The Arabic Language today. London 1970.
(6) Bergstrsser, G. Glosser des neuar a mischen Dialekts von Ma`Lula. Leipzig 1921. Neudeuck: 1966.
(7) Blooomfield, L. Languagr , New York 1922, London 1934 ...1967
(8) Brokel mann, C. Arabische Grammatik. Leipzig 1969.
(9) Cantineau, J. Ladialectologie arab, In : orbis 1955, in : Etudes de linguistique arabe. Paris 1960.
(10) Giese ,Untersuchungen Uber Addad auf Grund Von steuen in Altarabischen Dichtern ,Berlin ,1894 .
(11) Ullmann, S, Principles of semantics. Oxford 1957.
(12)) Yush manov, N.V. The structure of the Arabic Language Trans, by: Moshe Perlmann. Washington, D.C. 1961.
(13) Younge, G.D. Concerdance of Ugaritic. Roma 1956.